الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور خنشلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أدب التحرر في أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية

(بين رفض الدكتاتورية ومواجهة الهيمنة الأمريكية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص: آداب عالمية

إعداد الطالب: عبد الكريم خاشي

إشراف الأستاذ الدكتور: عمر عيلان

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
عمر عيلان	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
الطيب بودربالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر باتنة	مناقشا
فيصل حصيد	أستاذ محاضر – أ–	جامعة عباس لغرور خنشلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014

شكر وعرفان:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات،

نحمده سبحانه وتعالى على أن وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

لابد ونحن نخطو خطواتنا الثابتة –بحول الله تعالى- نحو الحصول على شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي. تخصص آداب عالمية. نتقدم بأسمى آيات، الشكر والتقدير

إلى اللذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ،إلى اللذين مهدوا لنا طرق العلم والمعرفة ،

إلى جميع أساتذة قسم الأدب العربي دون استثناء، وعلى رأسهم الدكتور يوسف لطرش

.

والأستاذ الدكتور * عمر عيلان * الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وقد كان المرشد السديد بنصائحه وتوجيهاته، فجزاه الله كل خير وله كل التقدير والاحترام.

كما نشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا البحث، وقدم لنا يد العون .

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع.

إلى أسرة جامعة عباس لغرور خنشلة عامة.

وإلى أسرة كلية الآداب واللغات خاصة.

وإلى معلمي وأساتذتي الأجلاء.

وإلى أفراد أسرتي والأصدقاء.

مقدمة

مقدمة:

حققت آداب أمريكا اللاتينية قفزة نوعية في النصف الثاني من القرن العشرين، بعدما عرّف أدباؤها العالم بثقافتهم الزاخرة الحية، واكتسحوا الساحة الأدبية العالمية، فنالوا بذلك أغلى الجوائز الأدبية في مناسبات عديدة على غرار جائزة نوبل للآداب، وكانوا خير ممثل للآداب الناطقة بالإسبانية . ربما يكون القمع السياسي والتعذيب النفسي وكل أشكال الظلم قد ألهمت الكثير من الأدباء، فجاءت أعمالهم سجلا يصور مرحلة مفصلية في حياة شعوب هذه البقعة من الأرض البعيدة عنا جغرافيا القريبة منّا في واقعها السياسي والاجتماعي، باعتبارها دولا من العالم الثالث الذي كان محل أطماع القوى الاستعمارية بكل أشكالها وانتماءاتها.

يعود اهتمامي بدراسة أدب التحرر في أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية إلى شغفي بآداب هذه القارة الثائرة التوّاقة إلى التحرر من الأنظمة الدكتاتورية التي بسطت نفوذها على أغلب دول أمريكا اللاتينية بمساعدة من القوى الأجنبية المتمثلة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر هذه الدول حديقتها الخلفية، ومنطقة نفوذ خصبة لشركاتها الاستثمارية، تفعل فيها ما تشاء.

كان الهدف من اختياري لهذا الموضوع تسليط الضوء على آداب شعوب هذه القارة المناضلة في سبيل الكرامة الإنسانية، هذه الآداب التي رافقت هذا الإنسان الثائر في مسيرته نحو الانعتاق والتحرر من كافة أشكال القمع والتبعية للأجنبي، وفي هذا تكمن أهمية هذه الآداب التي ساهمت في نشر الوعي الثوري ومسايرته، وبث الأمل في الشعوب الثائرة لتحقيق النصر وكرامة الإنسان . هذا الموضوع الذي لم تشمله الدراسة في العالم العربي عموما، وفي الجزائر على الخصوص، إلا ما كان يتناول عموميات عن أدب أمريكا اللاتينية' أو دراسات خصصت لأديب بعينه، أو تلك التي عُنِيَّت بالتجربة الرائدة للرواية الإسبانوأمريكية، وباستثناء ما تناوله **محمد عبد الله الجعيدي** في كتابه صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني والذي ركز فيه على إبراز صورة البطل الفدائي في الشعر النيكاراغوي وترجمةِ العديد من القصائد في هذا السياق، فيما عدا هذا لا نكاد نجد – على حد علمنا – دراسة تخصصت في موضوع أدب التحرر في أمريكا اللاتينية عموما، وقد اعتمدت – في بحثي هذا – على مراجع أساسية كانت لي منطلقا ، ومنها– بالإضافة إلى

الكتاب السابق الذكر– كتاب أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (قراءة في شعره ومختارات منه) للمؤلف نفسه، وكتاب ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية **لأوخينيو تشانج رودريغث**، وكتاب ملامح من أدب أمريكا اللاتينية **لبدر عبد الملك**.

باشرت العمل لتجسيد هذه الرغبة في تتبع الأدب الثائر المحتج على الاستعمار والوجود الأجنبي في ربوع القارة منذ الأيام الأولى للغزو الإسباني للعالم الجديد، وما صاحب ذلك من عوامل كانت سببا في عدم تبلور أدب مناضل ثائر على الاستعمار الإسباني، وصولا إلى مرحلة الاستقلال السياسي التي بدأت فيها تتكشف الشخصية الأمريكية اللاتينية بكل مكوناتها الثقافية والعرقية التوّاقة إلى إثبات ذاتها بعيدا عن وصاية التاج الإسباني، فكان أن انبثق عن هذه الرغبة وهذا الإيمان – بالذات – أدب أمريكي لاتيني أصيل، يستمد من الثقافة الهندية بكل زخمها مادة للتعبير عن أصالته وهويته مازجا ذلك بالواقع المر الذي تعيشه الشعوب التواقة إلى التحرر من الطغم الحاكمة، والقوى الاستعمارية المتربصة بخيرات البلاد ومقدراتها، فتمخض عن ذلك تلك الطفرة الكبيرة التي عرفها أدب القارة في مجال الشعر والفنون القصصية وعلى رأسها الرواية إبان النصف الثاني من القرن العشرين، كما أسلفت سابقا .

حاولت – في هذا البحث – الإجابة على عديد الأسئلة التي تطرح نفسها بإلحاح، فهل كان أدب الشعوب الناطقة بالإسبانية في أمريكا اللاتينية منذ بداية الغزو وأثناء فترة الاستعمار طامحا إلى التحرر من الوجود الاستعماري؟ وما هي الأسباب والمعوقات التي حالت دون ذلك ؟ وكيف استطاع الأديب الأمريكي اللاتيني تشكيل الوعي بضرورة الانفصال عن إسبانيا، والتعلق بالهوية الوطنية، ومن ثم الإقليمية والقارية ؟ وإلى أي حد تفاعل هذا الأدب بعد الاستقلال مع المشكلات السياسية والاجتماعية القائمة؟ وهل وقف إلى جانب الشعوب والمستضعفين في سبيل تخليصهم من معاناتهم، وحثهم على الثورة وتغيير الواقع نحو الأفضل، والتبشير بزوال الظلم والاستغلال؟ وأخيرا ما مدى قدرة الشعر والرواية على فضح مساوئ الدكتاتوريين، والتنديد بالتدخل الأجنبي في شؤون شعوب القارة؟ وللإجابة على ŧdžkǴPĂ ýĂ Ţ 5 ŧƛŭƛĂ ŧdžþldž ǐ ǀƵ Ălk ŧƱP Kɳnjkljf ǴNjƧǒƐĂ ŧǀǰ ǁŪfₒ ŔNj.

عرفت في الفصل الأول بحدود قارة أمريكا اللاتينية وبأقاليمها الجغرافية والسياسية، ثم تتبعت أهم الأحداث التاريخية التي عرفتها القارة منذ وطأتها أقدام الغزاة الإسبان، مرورا

بمرحلة الاستقلال، وصولا إلى التدخل الأجنبي في شؤون القارة، وأهم الثورات التي عرفتها البلاد في وجه الحكام الدكتاتوريين المدعومين من الولايات المتحدة الأمريكية . ثم اقتفيت أثر الأصوات المناهضة للغزو الإسباني، والمحتجة على جرائمه في حق السكان الأصليين، والمشيدة بحضارة الهنود وبسالتهم في مواجهة الغزاة، مرورا بأدب فترة الاستقلال الذي كان معبرا بصدق عن رغبة جامحة في التحرر من التبعية، وتوق إلى إثبات الذات الأمريكية اللاتينية، وفي آخر هذا الفصل ركزت على أدب القرن العشرين الرافض للدكتاتورية المشيد بالثورة في سبيل التحرر من ظلم الحكام العسكريين، والرافض للتدخل الأجنبي .

تتبعت في الفصل الثاني بشكل مفصل تجليات الرفض الصريح للحكم الدكتاتوري من خلال روايتي السيد الرئيس **لميغيل أنخل أستورياس** من غواتيمالا ورواية خريف البطريرك **لغابرييل غارسيا ماركيز**، وركزت في ذلك على ما قام به هذان الروائيان في سبيل فضح ǐ þƧ5!ƒƒ ǐ ƧĂkGk‡þ!ƒ D‡o!ƒ yFGu5 .

أبرزت في الفصل الثالث والأخير التنديد القوي والاستنكار الصارخ في وجه التدخل السافر للولايات المتحدة الأمريكية في شؤن القارة الجنوبية لاستغلال ثرواتها وإفقار شعوبها من خلال المجموعة الشعرية للشاعر الشيلي **بابلو نيرودا** بعنوان آخر الأشعار(في الحث على إبادة نكسون والاشادة بالثورة الشيلية)، والقصيدة الملحمية ساعة الصفر للشاعر النيكاراغوي **أرنستو كاردينال** .

استعنت في تحقيق ذلك بالمنهج التاريخي الذي رأيت بأنه الأجدر لتتبع الحوادث السياسية والظواهر الأدبية عبر العصور المختلفة، كما وظفت المنهج الموضوعاتي في محاولتي لإبراز تجليات رفض الدكتاتورية، ومواجهة الهيمنة الأجنبية والأمريكية على الخصوص.

طبيعي أن تعترض سبيلي معوقات وعراقيل صعبت من مهمتي، وعرقلت رغبتي في الوصول إلى المبتغى، فكانت قلة المراجع واحدة من أكبر العقبات التي استنزفت الوقت الكثير في سبيل جمع ما استطعت الوصول إليه، ثم اتساع الرقعة الجغرافية التي فرضت علي الاكتفاء بأهم الأدباء في الساحة الأمريكية اللاتينية، والتركيز على جنسين أدبيين فقط، هما: الشعر والرواية، ناهيك عن مشكلة اللغة الإسبانية التي أعتبرها أُمّ المشكلات، لكن جهود المترجمين ذلّلت لي هذه العقبة الكأداء .

لا أدعي ,في الأخير أنني ألممت بجميع جوانب الموضوع محل البحث، أو أنني حققت كل ما أنشده، ولكن سيكون لي الشرف أنني حاولت أن أضيئ جانبا من الموضوعات التي تناولها الأدباء الأمريكيون اللاتينيون عامة، فإن وفقت فبفضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر كل من أخذ بيدي وساعدني في إنجاز هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور **عمر عيلان**، وكل الأصدقاء الذين شدوا على يدي وكانوا لي نِعْم الناصح، والله الموفق وعليه التوكّل .

الفصل الأول

أدب التحرر في أمريكا اللاتينية

1- أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني إلى الهيمنة الأمريكية

1.1– حدود أمريكا اللاتينية :

2.1-أمريكا اللاتينية قبل الغزو الأوربي:

1 . 3- أمريكا الجديدة:

2- أدب التحرر في مسايرة نضالات شعوب أمريكا اللاتينية

2 -1 – أصوات محتجة على الغزو الإسباني :

2.2- أدب فترة الاستقلال:

1- أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني إلى الهيمنة الأمريكية :

1.1- حدود أمريكا اللاتينية :

أمريكا اللاتينية هي تلك المنطقة الجغرافية الواقعة في النصف الجنوبي من القارة الأمريكية، وبالضبط هي تلك الأراضي الممتدة من جنوب نهر الريوبرافو Rio bravoالذي يرسم حدود الولايات المتحدة الأمريكية مع المكسيك وصولا إلى نهاية القارة الجنوبية في جزيرة أرض النار Patagonia، وعليه فإن أمريكا اللاتينية تشمل إضافة إلى قارة أمريكا الجنوبية بعض الأراضي في أمريكا الشمالية، ومجموعات الجزر الممتدة على الحافات الخارجية للبحر الكاريبي[1]، وهي تتوسط المحيطين الأطلسي شرقا والهادي غربا، تزيد مساحتها عن 21 مليون كلم^2 [*].

إذا ما قمنا بتقسيمها إلى مجموعات اقليمية، فإنها ستكون على النحو الآتي: [2]

- المكسيك وأمريكا الوسطى: وتتكون من الدول الآتي ذكرها :المكسيك، كوستاريكا، السلفادور، غواتيمالا، هندوراس، نيكاراغوا وبنما.
- دول الكاريبي: وتشمل: كوبا، الدومينيكان وهايتي.
- مجموعة دول الأنديز[**]: بوليفيا، البيرو، الإكوادور والشيلي.
- الجمهوريتان البوليفاريتان[***]: كولمبيا وفينزويلا.
- جمهوريات نهر الريو دو لا بلاتا Rio de la plata: وتضم الأرجنتين الأورغواي والبراغواي.
- البرازيل: وهي أكبر الدول مساحة في أمريكا الجنوبية، وتختلف عن بقية الدول باعتمادها اللغة البرتغالية لغة رسمية كونها كانت مستعمرة برتغالية .

---

[1]- انظر حسن طه نجم، أمريكا الجنوبية أرضا وسكانا (دراسة جغرافية إقليمية)، الطبعة 1، جامعة الكويت، الكويت، 1990، ص 05.

[*] - تبلغ مساحتها تحديدا: 21173000م2، انظر موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.www.wikipidia.org، بتاريخ: 2014/09/09 الساعة: 10:02.

[2]- انظر: نجلاء سعيد مكاوي، الحرب الباردة في أمريكا اللاتينية، الطبعة 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2013، ص8.

[**]- نسبة إلى سلسلة جبال الأنديز.

[***] - نسبة إلى سيمون بوليفار(1780-1830) Simon Bolivard محرر دول القارة من الاستعمار الإسباني.

- بورتو ريكو: وهي ولاية حرة اختارت الانضمام إلى الولايات المتحدة الأمريكية [1].
- وفي سنة 1960 نشأت أربع دول جديدة، هي: جامايكا، باربادوس، ترينيداد وتوباغو، غويانا، وتسود في هذه الدول اللغة الإنجليزية .

نكون بهذا التقسيم قد تجاوزنا فكرة اللاتينية «التي تذوب في السياق التاريخي، ونجد أنفسنا غارقين في الجوهر البشري الخاص للموصوف الذي من الواضح أنه الأسبق مما هو أوربي»[2] مما يطرح مشكلة التسمية، تسمية هذه المجموعة السكانية التي تسكن هذه الأراضي الشاسعة، والتي تتنوع بين الهنود الحمر وهم السكان الأصليون، والبيض الأوربيون، والسود الأفارقة، وأصحاب الدم المختلط بسبب تزاوج أبوين من جنسين مختلفين[3]، لكن المؤكد أن هذا التنوع العرقي أكسب القارة نسيجا اجتماعيا متنوعا وزخما ثقافيا متعددا ومميزا في الآن ذاته سيكون خزانا هاما وموردا غزيرا للمبدعين والفنانين والأدباء خاصة يثري تجربتهم الإبداعية .

2.1-أمريكا اللاتينية قبل الغزو الأوربي:

استوطن الهنود الحمر هذه الأرض قبل مجيء الأوربيين، وتشير الأبحاث إلى أن السكان الأصليين هاجروا إلى هذه الأرض عبر مضيق بيرنق Bering من آسيا منذ حوالي 11 ألف عام[4]، وانتشروا في طرفي القارة الشمالي والجنوبي، وكانوا يعيشون عيشة بدوية تقوم على الترحال وممارسة الصيد، ثم ما لبثوا أن استقروا، وراحوا يمارسون الزراعة، واستأنسوا بعض الحيوانات لما استخدموا «تقنيات أفضل في مجال إحياء وإدامة الأرض بالري والصرف وفي مجال عمل المدرجات والمصاطب الجبلية»[5]، هذه الوضعية المعيشية أدت إلى إقامة نظم اجتماعية تقوم على التعاون للتغلب على المشاق والمصاعب، وبذلك ظهرت التجمعات البشرية الأولى المختلفة الأحجام والتي كانت كلٌّ منها تدين بالولاء إلى سلطة

---

[1]- انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipidia.org بتاريخ: 10-09-2014 الساعة: 13:43.

[2]- سيزار فيرناندث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية (قضايا ومشكلات)، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقلفة والفنون والآداب، عدد 116، الكويت، 1987، ص 15 .

[3]- انظر: حسام جميل النايف، (الإدارة الإسبانية في أمريكا اللاتينية (1492-1825))، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد 1و2، 2014(نسخة إلكترونية)، ص من 643إلى 648.

[4]- انظر: أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، الطبعة 1، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 63 .

[5]- المرجع نفسه، ص 42.

محلية، وهذه التجمعات اتحدت فيما بينها مكونة اتحادا أكبر ظهر في شكل حضارة مترامية الأطراف، تكونت أول حضارة في هذه البقاع – وبالضبط في المكسيك – حوالي القرن 11 قبل الميلاد، وهي حضارة الأولميكا* Olmeca ، وتبعتها حضارة المايا** Maya في أمريكا الوسطى، وحضارة الأزتيك*** Azteca وحضارة الإنكا**** Inca، هذه الحضارات خلفت ميراثا حضاريا ضخما توارثه الهنود الحمر أجيالا متعاقبة أنعكس في طريقة تفكيرهم وتعاملهم رغم ما لحق بهذه الحضارات من التدمير من قبل الأوربيين الغزاة، وتظهر هذه السمات في طبيعة الإنسان الهندي المسالم الودود الذي يرضى التعايش مع الآخر. عرف عن الهنود الحمر وكذلك إتقانهم للنحت ومهاراتهم في صياغة الذهب والأحجار الكريمة، كما تميزوا بالولاء للسلطة الحاكمة والائتمار بأمرها والوفاء لها، وقد وصف الراهب المنصر **برتولومي دو لاس كازا Bartolomé de las casas** (1474–1566) طبائع هؤلاء السكان، فقال: «خلق الله هذه الشعوب الغفيرة رضية لا تعرف الشر والرياء، إنها شعوب طيعة بالغة الوفاء لأسيادها الطبيعيين وللمسيحيين الذين تخدمهم، أجل، إنها أكثر الشعوب تواضعا وصبرا ومسالمة وسكينة»[1] كما وصفهم في موضع آخر من الصفحة نفسها متحدثا عن طريقة لباسهم وكيفية عيشهم، يقول: « ليس طعامهم بأحسن أو أكثر أو أتعس من طعام الرهبان في الصحاري، وتراهم عراة يمشون لا يسترون إلا عوراتهم، أو يغطون

* – الأولميكا: حضارة نشأت على سواحل المكسيك ما بين 1160ق م و580 ق م، وكانت مهدا لجميع الحضارات اللاحقة، شيدت أهرامات مستطيلة مستوية القمة اتخذت معابد ومقابر .

** – حضارة المايا نشأت في هندوراس وغواتيمالا، وتطورت في فترتين: من القرن الرابع إلى التاسع الميلادي ثم من التاسع إلى الرابع عشر الميلادي، اشتهرت بتقاويمها الدقيقة ومبانيها الضخمة.

*** – حضارة الأزتيك نشأت في وادي المكسيك ما بين 1428م و1521م، كانت حضارة دينية زراعية، اشتهرت بزراعة الذرة خاصة .

**** – الإنكا: حضارة نشأت في البيرو ما بين 1100م و1532م تقوم على الزراعة، لغتها هي: الكيتشوا، أولت أهمية بالغة للأخلاق وشعارها: (لا تسرق، لا تكذب، لا تكسل).

[1] – برتولومي دو لاس كازاس، المسيحية والسيف (وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان رواية شاهد عيان)، ترجمة سميرة عزمي الزين، (دون طبعة)، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص23. (نسخة إلكترونية) انظر الموقع الالكتروني: http://www.islamstory.com

أجسادهم بغطاء من القطن، يفترشون الحصير، وينامون فيما يشبه الشبكة المعلقة»[1]، هذه الحياة البدائية ربما تكون سببا في سهولة سيطرة الأوربيين الغزاة عليهم .

1 . 3- أمريكا الجديدة:

حدثت تغيرات هامة في تاريخ العالم الجديد بعد اكتشافه من قبل **كريستوف كولومب** * **Christophe colomb**(1451-1506) على جميع المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والدينية، وتنقسم هذه الحقبة حسب الباحثين إلى أربع مراحل هامة [2]، وهي:

أ- مرحلة الغزو والاحتلال، من: 1492 إلى 1542.

ب- مرحلة المستعمرات، من: 1542 إلى 1810 .

ج- مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال السياسي، من: 1810 إلى1824 .

د- مرحلة الاستقلال، من: 1824 إلى اليوم.

أ- مرحلة الغزو والاحتلال:

أبحر البحار الإيطالي **كريستوف كولومب** في الثالث من شهر أوت (أغسطس) ام 1492 بعد أن وجد العون من حكام إسبانيا وفي نيته التوجه إلى آسيا للبحث عن [illegible] جديد إليها، وهي المشهورة بتوابلها، فاتجه صوب الغرب حتى وصل إلى جزيرة سان سلفادور الواقعة حليا في إقليم البهاماس، ثم جزيرة خوانا التابعة إقليميا إلى دولة كوبا، كما اكتشف جزيرة لاإسبانيولا الواقعة بين هايتي والدومينيكان، وفي طريق عودته إلى إسبانيا جلب معه عيّنات من الثروات التي عثر عليها في هذه الأراضي التي أطلق عليها على سبيل الخطأ اسم الهند [3]، وخلال عشر سنوات عاود البحّار المستكشف الكرّة ثلاث مرات، كان يكتشف فيها المزيد من الجزر، وفي كل مرة كان يعود محملا بأشياء جديدة، وكان يعتقد دوما بأنه كان في بلاد الهند الشرقية، ولذلك أطلق على سكان هذه البلاد المكتشفة اسم الهنود.

---

[1]- المرجع السابق، ص23.

*- كريستوف كولومب أو كريستوف كولمبس بحار إيطالي الأصل تزوج في برشلونة من ابنة قائد بحري، أبحر عبر الأطلنطي للبحث عن طريق للوصول إلى الهند، فاكتشف أمريكا .

[2]- انظر: أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص23.

[3]- المرجع نفسه، ص85.

كما كان للبرتغاليين دور في اكتشاف الجزء الجنوبي من القارة الجديدة – وذلك في إطار التنافس بين إسبانيا والبرتغال للسيطرة على المسالك البحرية – فقد قاد البحار البرتغالي **بيدروألفاريز Pedro Alvarez Cabral** سنة 1500 رحلة بحرية وقف بها على الساحل الجنوبي للبرازيل، وتوالت بعد ذلك الرحلات البحرية البرتغالية إلى الجنوب، وفي سنة 1513 قاد بحار إيطالي آخر يعمل لصالح البحرية الإسبانية هو **أميريكو فيسبوتشي Amerrico Vespucci**(1454-1512) رحلة بحرية وصل بها إلى سواحل المحيط الهادي جنوبا، وهنالك تيقن أنه وقف على قارة جديدة حملت اسمه أمريكا[1] .

تتنوع دوافع هذا التنافس المحموم على المنافذ البحرية الجديدة والأراضي في العالم الجديد من قبل إسبانيا والبرتغال بين اقتصادية دينية وسياسية؛ فقد كان العامل الاقتصادي حجر الأساس في العملية برمتها، ففي نص **لكريستوف كولومب** تتضح المطامع في الحصول على المعادن النفيسة التي تزخر بها هذه الأرض البكر، يقول: « هذه الجزر شديدة الخضرة والخصوبة وذات الأنسام بالغة العذوبة، ويمكن أن يكون بها أشياء كثيرة لا أدريها إلا أنني لا أريد أن أعطّل نفسي وأن اخترقها وأذرع جزرا كثيرة حتى أجد الذهب »[2]، وكان مما جلبه هذا المستكشف معه من رحلاته الذهب والعبيد الهنود، مما أسهم في دفع حركة الاقتصاد في إسبانيا.

لا يقل الجانب الديني أهمية عن العامل الاقتصادي ؛ فقد كان نشر المسيحية من الأسباب المباشرة في الغزو خاصة وأن الحكام الإسبان قد انتهوا لِتوّهم من طرد المسلمين من الأندلس، وراحوا ينشرون المسيحية ويبشرون بها لتطويق العالم الإسلامي ومحاصرته .

أما سياسيا، فإن التنافس المحموم بين إسبانيا والبرتغال سرّع من وتيرة الغزو بغية السيطرة على مزيد من الأرض وتوسيع السلطان، وطبقا لمعاهدة توردیسیاس Tordesillas سنة 1494 بين إسبانيا والبرتغال، قسمت القارة الجنوبية إلى منطقتي نفوذ بينهما مما كرس منطقة البرازيل تحت الوصاية البرتغالية، وباقي المناطق تحت الوصاية الإسبانية[3]، وتنفيذا

---

[1] –Pierre Chaunu ,Histoire de l Amerique latine, Edition7 ,Presse universitairede France, 1976,p14 . (ترجمة صاحب البحث).

2– سيزارفرناندث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية (القسم الثاني)، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسة كتب عالم المعرفة، الجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد122، الكويت، 1988، ص327 .

[3]– انظر: حسن طه نجم، أمريكا الجنوبية أرضا وسكانا (دراسة جغرافية إقليمية)، ص43.

لهذه الاتفاقية شرعت إسبانيا في التغلغل داخل القارة ؛ فلما علم حاكم كوبا من قبل التاج الإسباني بوجود إمبراطورية كبيرة للهنود في المكسيك كلف القائد **هرنان كورتيس Hernan Cortés** بقيادة حملة عسكرية لغزو هذه الإمبراطورية عام 1519، ولما وصل القائد وجنوده إلى بلاد المايا والأزتيك، استقبلوا بالترحاب، وأهديت لهم 20 امرأة – علما أن الحملات الإسبانية كانت تقتصر على الرجال فقط – كما تلقى الإسبان هدايا قيمة مقابل انسحابهم من البلاد[1]، لكن الإسبان غزوا عاصمتهم وسلبوها وأسروا إمبراطورها، وذبحوا نبلاء الهنود بطريقة وحشية، واستمرت حملات الاستعمار حتى وصلت إلى أمريكا الوسطى ثم منطقة البيرو التي حملوا عليها سنة 1532، وألقوا القبض على إمبراطور الإنكا **أتاهوالبا*** **Atahualpa** بعد مذبحة فضيعة، ولكي يفتدي الإمبراطور نفسه قدم لهم غرفتين مملوءتين فضة وثالثة ذهبا، فقبلوا الهدية وأعدموه[2]، استمر الإسبان يتوغلون في عمق القارة وباتجاه الجنوب حتى انتهوا من احتلال الأرجنتين، وبحلول منتصف القرن الخامس عشر دانت الأرض للإسبان «مستفيدين من ميزة الخيول والمدفعية»[3] مما أدى إلى تدفق الأوربيين باحثين عن الثروة والمنزلة والسلطة، فأقاموا المدن والمستثمرات، وجمعوا الهنود في المحتشدات بغرض السيطرة عليهم وتسهيل عملية التنصير والاستيلاء على أراضيهم، وقد قضى الملايين منهم بسبب انتشار الأوبئة والعمل الشاق. وقد خاض المنصر والقس **بارتولومي دو لاس كازا** نضالا مريرا من أجل تحرير الهنود وتخفيف معاناتهم بعد أن استصدر مرسوما ملكيا من ملك إسبانيا سنة 1540 يقضي بوقف إبادة الهنود واستعبادهم مما دفع بالمستوطنين إلى البحث عن يد عاملة رخيصة، فتوجهوا إلى إفريقيا لجلب العبيد، فتدفقت السفن محملة بالزنوج الأشداء الذين أصبحوا من ضحايا غزو العالم الجديد، فاستغلوا للعمل في المناجم والمزارع وشق الطرقات، وقدّر عدد العبيد الذين جلبوا على مدار القرون

[1]– انظر: أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص89.

* – أتاهوالبا (1497–1533)آخر ملوك حضارة الإنكا قتل وهو يدافع عن مملكته من قبل الإسبان.

[2]– انظر: المرجع نفسه، ص94.

[3]– مايكل برير، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني(أمريكا اللاتينية، جنوب إفرقيا،فلسطين)، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، الطبعة2، قدمس للنشر والتوزيع، سورية، 2004، ص83.

الأربعة للاستعمار بما يزيد عن11 مليون افريقي[1] مما ساهم في تنوع التركيبة البشرية للقارة الجديدة.

ب – مرحلة المستعمرات:

شرع الإسبان منذ بداية الغزو في تشييد القرى والمدن وإدارات الحكومات الإسبانية والتي كان لها الحكم المطلق في الأراضي المستعمرة، حيث أناب الملوك الإسبان في هذه البلاد الجديدة حكاما عسكريين ثم نوابا للملك ثم قادة مدنيين بعد ذلك، وكان الحكام العسكريون يتكفلون بدفع تكاليف الحملات الغازية مقابل جزء من الثروات والأراضي التي يخضعونها باسم الملك، وبعد نصف قرن من الاستكشافات أنشئت أولى الولايات في العالم الجديد على غرار ولاية إسبانيا الجديدة في المكسيك الحالية سنة 1535، وفي البيرو أنشئت ولاية لاكاستيا الجديدة سنة 1543، كما أسست ولاية غرناطة الجديدة سنة 1739، وتشمل دولة بنما وشمال أمريكا اللاتينية، وبعد سنوات أنشئت ولاية **لابلاتا** سنة 1776، وتضم الأرجنتين والأراضي الواقعة شمالها، وكانت العاصمة المركزية لكل هذه الولايات هي ليما عاصمة البيرو الحالية.

شهدت أمريكا الإسبانية* في هذه المرحلة تغيرات جذرية أثرت كلية على سكان البلاد وثقافتهم؛ فبتزاوج البيض الأوربيين مع الهنود نشأ الجنس الخلاسي أو الميستيزو، ومن تزاوج الأوربيين بالعبيد الأفارقة تولد المولاتو، ومن تلاقح الأفارقة والهنود خلق الزامبو، بالإضافة إلى الآسيويين الذين نزحوا فيما بعد، هذا التنوع العرقي كانت له آثاره الواضحة على التركيبة الاجتماعية للسكان مما أدى إلى ظهور الطبقية في المجتمع الجديد؛ فالأبيض هو صاحب السيادة والحكم، وأما الافارقة فهم العبيد المسخرون لخدمة الأرض والعمل الشاق، وأما الهنود فإنهم عاشوا فقراء يشتغلون في أحقر المهن، ويتعاطون الكحول، ناهيك عن أن البيض في حد ذاتهم نشأت بينهم الخلافات والصراعات بين المولودين في إسبانيا وأولئك المولودين في المستعمرات **(الكريول)** الذين سيكونون فيما بعد نواة للثورة على الحكم الإسباني .

لعبت الكنيسة في الجانب الديني والثقافي دورا هاما في نشر المسيحية والتبشير من خلال القساوسة والكنائس التي أنشئت، فكل حملة عسكرية كانت تصطحب معها مبشرين يدعون

[1]– المرجع السابق، ص 84 .

*– يطلق مصطلح أمريكا الإسبانية على الدول التي كانت مستعمرات إسبانية في أمريكا اللاتينية.

السكان إلى المسيحية، وقد اتسمت هذه الدعوة بالترغيب حينا والترهيب في أحيان كثيرة مما أدى إلى انتشار المسيحية في كل أرجاء القارة، «وفي نهاية القرن السابع عشر كان يوجد في المكسيك ما يقرب من 180 دير للرهبان و85 للراهبات، مما جعل بلدية ميكسيكو تطلب من الكنيسة الكف عن بناء الأديرة، وهذا ما يفسر السيطرة والتأثير القوي للرجل المسلح والكنيسة في الحياة الجمهورية فيما بعد» [1]، كما اضطلعت الكنيسة بالدور التثقيفي والتعليمي إبان فترة الاستعمار بإقامة مدارس تابعة لها، وكان التعليم بادئ الأمر مقتصرا على أبناء الإسبان، ثم فتحت المدارس لأبناء المولدين المطيعين مما كرس الأمية في صفوف أفراد الشعب البسيط من أبناء الهنود والزنوج والملونين اللذين لم تكن لديهم الفرصة لكي يتلقوا حتى مبادئ التعليم الأساسي[2]، وقد تكرس هذا النهج حتى في الجامعات القليلة أصلا، كما مارست محاكم التفتيش الرقابة على الكتاب ودور النشر منعا لكل ما من شأنه أن يسهم في تنوير العقول أو التفكير في التغيير والتحرر، و«نظريا كان يعاقب بالإعدام فضلا عن مصادرة ممتلكاته كل من كان يمتلك كتابا من الكتب التي تتضمنها القائمة المحظورة، وكان يعاقب بالمثل كل من يحاول طبع أي عمل لم تتم الموافقة عليه»[3].

أما اللغة، فقد حلت اللغة الإسبانية كلغة رسمية محل اللغات المحلية رغم أن **كارلوس الخامس*** **(شارلكان) Charles Quint** (1500-1558) ملك إسبانيا أصدر عام 1536 مرسوما يقضي بأن يتعلم القساوسة لغة الهنود للقيام بوظائفهم، فاهتم المبشرون يتعلم اللغات العامة[4]، كان هذا المرسوم بداية لتتصير الهنود ومن ثم مسخهم ثقافيا ولغويا، فلغة السادة البيض والإدارة والمراسلات والتعليم هي الإسبانية، وبذلك فرضت اللغة الجديدة تدريجيا على البلاد إلى أن تم الأمر بقرار ملكي صادر عن الملك الإسباني **كارلوس الثالث Charles III*** *

---

[1]- أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص98.

[2]- انظر: المرجع نفسه، ص154.

[3]- المرجع نفسه، ص 155.

* - كارلوس الخامس (شارلكان) ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، كان سلطانه على رقعة جغرافية موزعة على ثلاث قارات (أوربا، أمريكا، وأفريقيا).

[4]- ماجدة حمود، رحلة في جماليات رواية أمريكا اللاتينية، الطبعة 1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 ، ص 09.

* - كارلوس الثالث ملك إسبانيا، حكم ما بين (1759و 1788).

(1716-1788) عام 1770 يأمر فيه بأن تمحى اللغات المختلفة المستخدمة في المستعمرات، ولا يتبادل الحديث إلا بالإسبانية[**].

ج – مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال السياسي:

تضافرت عدة عوامل داخلية وخارجية في اندلاع حروب الاستقلال عن التاج الإسباني والتي قادها الكريول أبناء الغزاة الإسبان أنفسهم دفاعا عن حقهم في ثروات وطنهم، وهم الذين يشعرون بالتهميش والإقصاء من المناصب السيادية والهامة، «فمن ستين نائب للملك في تاريخ الاستعمار الإسباني لا نجد إلا أربعة من أصول كريولية وأربعة عشر قائدا من أصل ستمائة قائد عام »[1].

كانت إسبانيا تفرض ضرائب وغرامات باهظة على النشاط التجاري والصناعي والفلاحي في المستعمرات وخاصة في مجال التنقيب عن الذهب والمعادن النفيسة التي يستخرجها الكريوليون وبعرق الهنود من المناجم المختلفة، وساهمت شساعة الأرض، وتباعد أقطارها في صعوبة التحكم فيها من قبل التاج الإسباني الذي يبعد هو الآخر عن مستعمراته آلاف الكيلومترات، مما ساهم في حرية الحركة الاستقلالية، وتنامي الوعي لدى الناس، وانتشاره بفضل الحركة التجارية الداخلية، فقد أنشئت موانئ جديدة منها ما كان بين بوغوتا في كولومبيا والبيرو ثم المكسيك ومنطقة لابلاتا .

وأدت البعثات العلمية إلى أوربا في تنوير النخبة المثقفة واطلاعها على ما وصلت إليه الحريات في أوربا وخاصة في فرنسا، كما أسهمت الجامعات في أمريكا اللاتينية في نشر الوعي والأفكار التحررية والتنويرية المستمدة من الثورة الفرنسية 1789 ومنظريها أمثال **مونتيسكيو Montesquieu** صاحب كتاب روح القوانين (1748)، و**جان جاك روسو Jean-jacquesRouseau** في رواية إميل (1762) وغيرها، كما أدت الصحافة المحلية دورا هاما في هذا السياق كجريدة لا غاثيتا دوليماLa Gacetade Lima، والتلغراف دو بيونس إيرس Telegraph de Buenos Aires، والدياريو دو ميكسيكو diario de mexico... هذا الدور الذي أدته الدوائر الثقافية في البلاد لم يكن

[**]– كانت تسمى اللغة القشتالية نسبة إلى عاصمة مملكة إسبانيا في ذلك الوقت قشتالة.

[1] –Pierre Chaunu , Histoire de l Amerique latine , P61 (ترجمة صاحب البحث) .

بعيدا عن متابعات محاكم التفتيش والرقابة، كما ساهم رجال الدين اليسوعيون المنفيون عام 1767 بسبب معارضتهم لنظام الحكم الإسباني المستبد في بث الحماسة في النفوس[1].

هذه بعض أهم العوامل الداخلية، أما عن العوامل الخارجية فأهمها على الإطلاق كان الدور الأمريكي الشمالي الذي ساهم في نشر الفكر الانفصالي في جنوب القارة بفعل انفصاله عن انجلترا بين عامي (1775 و1783)، وبعدها مارست البحرية التجارية الأمريكية الشمالية دورا بارزا في مزاحمة إسبانيا في مستعمراتها الجنوبية، وتشجيع الجنوبيين على الثورة والانفصال .

وكما أشرنا سابقا، فإن الأفكار التنويرية التي ظهرت في أوربا وخاصة في فرنسا – ومع ما أحدثته من زلزال في القيم السائدة في العالم الغربي– انتقلت إلى أمريكا الإسبانية، وكانت ملهمة لأبنائها في سلوك سبيل الحرية والاستقلال عن إسبانيا التي كانت في هذه الفترة من القرن الثامن عشر تعاني من أزمات داخلية وخارجية، وصراعات على السلطة وفقدان لدورها في أوربا حيث غزاها الفرنسيون سنة 1708، وحتى في سواحل أمريكا اللاتينية راح القراصنة الفرنسيون والانجليز والهولنديون يزاحمونها فيها [2].

أدت هذه العوامل وغيرها إلى نشوب ثورات متعاقبة واحتجاجات على الوضع الاستعماري، وأهم هذه الحركات ثورة باراغواي عام 1725، وتمرد البيرو سنة 1780، والحركة الاحتجاجية على نظام الضرائب في كولومبيا في العام نفسه، والتي امتدت حتى فينزويلا، وثورات الشيلي الثلاث بداية من 1780 المنادية بإعداد دستور خاص للبلاد، وأكثر هذه الحركات خطورة على الاستعمار تلك التي قادها **فرانسيسكو دوميراندا Francisco de Miranda** سنة 1806 في فينزويلا بدعم من الانجليز والولايات المتحدة، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل لعدم نضجها وقلة أنصارها وقوة الردع التي مازالت ماثلة عند الإسبان وأعوانهم، ولأن الأمريكيين اللاتينيين كانوا يشعرون بالتدخل الأجنبي في شؤونهم طمعا في أراضيهم[3].

---

[1]– انظر: أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص 190و 191.

[2]– انظر: المرجع نفسه ، ص186.

[3] – انظر: (ترجمة صاحب البحث) –Pierre Chaunu ,Histoire de l Amerique latine , P69 .

ضعفت قوة إسبانيا وتزعزعت هيبتها في مستعمراتها لما غزا **نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte** ملك فرنسا إسبانيا سنة 1808، ونصّب أخاه **جوزيف بونابرت Bonaparte Joseph** ملكا عليها مما غذى الشعور لدى الأمريكيين بالقدرة على الانفصال؛ ففي سنة 1811 اجتمع قادة المجالس العسكرية في كاراكاس عاصمة فنزويلا الحالية وأعلنوا الاستقلال، فحذت حذوهم منطقة لابلاتا، ثم الشيلي، وقد استطاعت إسبانيا إجهاض المحاولة مرة أخرى، لكن حلم الاستقلال أضحى كبيرا خاصة عندما سطع نجم محرر أمريكا اللاتينية **سيمون بوليفار Bolivar Simon** (1783- 1830) هذا القائد الفنزويلي الشجاع المولود لأب كريولي، والذي شارك في المحاولات الانفصالية السابقة فتعلم منها واستخلص العبر والدروس، ومن منفاه في هايتي – وكانت أول دولة حققت استقلالها سنة 1804 – استعد بمساعدة من رئيسها فنظم صفوفه، وجمع حلفاءه، وزحف سنة 1819 للتحرير، وبعد معارك طويلة ودامية أعلن نفسه سنة 1821 رئيسا لجمهورية كولمبيا الموحدة التي تضم (فنزويلا، كولومبيا، والإكوادور)، لكنه لم يهنأ لذلك فقرر خوض مغامرة جديدة في الجنوب الذي سيلتقي فيه بمحرر آخر هو **خوزي دو سان مارتن** [*] **Jose de Sain Martin**(1778-1850) والذي سيكون له دور مهم في تحرير الأرجنتين سنة 1816، ثم الشيلي 1818، وبعده توجه شمالا صوب البيرو وعاصمته الاستراتيجية ليما ليدخلها محررا سنة 1821، وفيها التقى مع **سيمون بوليفار** في جويلية 1822، وبعد اتفاق بينهما تسلم هذا الأخير مهمة تحرير ليما من السيطرة الإسبانية نهائيا، فتم له ذلك عام 1826 .

كانت أولى الثورات الرامية إلى الانفصال في المكسيك (إسبانيا الجديدة) -كما كانت تسمى- قد اندلعت سنة 1813 لكنها باءت بالفشل، وتلتها محاولات أخرى سنوات 1817، ثم 1822 إلى أن حل العام 1823، أين تمكن **أنتونيو لوبيز دوسانتا أنّا Antonio Lopez de Santa Anna** من إعلان الاستقلال والجمهورية.

[*] – خوسيه دو سان مارتان: واحد من أشهر المساهمين في تحرير القارة الجنوبية من الاستعمار، أرجنتيني المولد، تولى قيادة الجيوش الأرجنتينية .

حاول المحرر **سيمون بوليفار** تحقيق حلم الوحدة بين الأقطار المستقلة حديثا، فأرسل دعوات لقادتها لعقد قمة في بَنَمَا لهذا الغرض، ولمواجهة الأطماع الأوربية المتزايدة لكن القمّة فشلت لغياب العديد من الدول، فضاع حلم الوحدة البوليفاري.

ولكي تستكمل مستعمرات إسبانيا حركتها التحررية لابد من التطرق إلى استقلال كوبا وبورتوريكو الذي جاء متأخرا بسبب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية المتوجسة من رغبة **سيمون بوليفار** في توحيد القارة الجنوبية، فكان على كوبا أن تنتظر حتى مطلع القرن التاسع عشر – بالضبط سنة (1902) – بعد حرب بين إسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية أُجبرت فيها إسبانيا على الاعتراف باستقلال كوبا، والتنازل لها عن بورتوريكو.

د– مرحلة الاستقلال:

أدرك المواطنون والقادة بعد نيل دول أمريكا الإسبانية الاستقلال أن إقامة حكومات جمهورية وإعلانها أسهل بكثير من تحويلها إلى حقيقة واقعة، وأدى افتقار القادة الجدد للخبرة السياسية إلى صراعات عنيفة، كما اغتصب السلطة عدد من العسكريين والحكام المدنيين مقيمين حكومات دكتاتورية، وقامت الجيوش التي حررت البلاد من الإسبان بمساندة الحكام الجدد، ثم دخلت هذه الدول المستقلة حديثا في نزاعات على الحدود كانت وبالا على شعوبها المنهكة أصلا، لكن ما يحسب لحركة الاستقلال إلغاء قانون الرق؛ حيث شهدت نهاية القرن التاسع عشر تحرير كل العبيد[1]، وبالمقابل لم يأت الاستقلال إلا بالقليل من التحسن في حياة المواطنين، فقد انقض الكريوليون على السلطة وعلى المؤسسات الاجتماعية التي كانت قائمة، وحولوها إلى ملكيات خاصة، وأما فقراء الهنود والسود فكان التهميش والفقر والأمية من نصيبهم، «لأنهم تأقلموا على الظلم والاضطهاد ولم يستوعبوا تماما فكرة التحرر»[2].

وما زاد الأمر تعقيدا الأطماع الاستعمارية الجديدة التي راحت تتربص بهذه الدول الفتية؛ فالجار الشمالي– ونعني به الولايات المتحدة الأمريكية – ودول أوربا الاستعمارية جعلت تحلم بأن تستولي على التركة الإسبانية، فالثروات الهائلة التي تكتنزها القارة تسيل اللعاب،

[1] – Pierre Chaun,Histoire de l Amerique latine, P86 . (ترجمة صاحب البحث)

[2]– أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص200.

فهي بلاد الإلدورادو* كما تصورها الغزاة الأوائل، ولذلك تقاطر المستثمرون الأوربيون، «وتدفقت رؤوس الأموال قادمة من أكبر الدول الصناعية: انجلترا، فرنسا وألمانيا»[1] بذلك فرضت هذه الدول هيمنتها على الاقتصاد الأمريكي اللاتيني مما جعل الولايات المتحدة تتحرك بجد وحزم مع إعلان مبدأ مونرو الذي أعلنه الرئيس الأمريكي **جيمس مونرو J.Monroe** سنة 1832، وخلاصته:« الاعتراض على امتداد الاستعمار الأوربي ونظام السياسة الأوربية إلى نصف الكرة الغربي، وتحذير الدول الأوربية من مغبة التدخل بأي شكل من الأشكال في شؤون تلك المنطقة» [2]، وبذلك بدأت التدخل الفعلي في الشؤون الأمريكية اللاتينية اقتصاديا ودبلوماسيا وحتى عسكريا في بعض الدول تفعيلا لسياسة العصا الغليظة التي أعلنها الرئيس الأمريكي **تيودور روزفلت Th.Rosvelte** عام 1905، وهي السياسة «التي تبرر حق الولايات المتحدة الأمريكية في ممارسة دور الشرطي في القارة اللاتينية، والتدخل باستخدام القوة الرادعة لمواجهة كل ما تعتبره إخلالا بالنظام في المنطقة»[3]، وتفعيلا لهذه السياسة تدخلت الولايات المتحدة في الفترة ما بين 1898 و1932 أربعا وثلاثين (34) مرة في تسعة بلدان حفاظا على مصالحها، وخصوصا في منطقة الكاريبي وأمريكا الوسطى القريبة من حدودها، مما ولد شعورا عاما من الغضب لدى الدول اللاتينية، لذا اضطرت الولايات المتحدة إلى تغيير سياستها في المنطقة باعتماد سياسة حسن الجوار التي أقرها الرئيس الأمريكي **فرونكلين روزفلت** F. Rosvelt (1882-1945) بين سنتي 1933و1945 فترة حكمه لاحتواء الغضب الشعبي والرسمي عند جيرانها، و«تحسين علاقات الولايات المتحدة بالدول اللاتينية»[4]، وذلك بإقامة جبهة لمواجهة الأخطار المشتركة وحماية الأمن في المنطقة، وبعد الحرب العالمية الثانية ازدادت حدة الاستقطاب الدولي بين المعسكرين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشيوعي بزعامة الاتحاد

---

* – الإلدورادو Eldorado كلمة إسبانية تعني: المذهّب، وهو الاسم الذي أطلق على ملك في إحدى قبائل أمريكا الجنوبية، والذي يقال إنه يغطي نفسه بغبار الذهب في احتفال ديني سنوي في مدينة أسطورية تسمى مانوا في أرض خرافية حيث الذهب وفير . أنظر موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة .. www.wikipidia.org بتاريخ: 2014/09/09 الساعة: 12:25.

[1] –Pierre Chaun,Histoire de l Amerique latine, P88.(ترجمة صاحب البحث)

[2] – نجلاء سعيد مكاوي، الحرب الباردة في أمريكا اللاتينية، ص 16.

[3] – المرجع نفسه، ص18.

[4] – المرجع نفسه، ص 20.

السوفياتي أو ما يعبر عنه سياسيا بالحرب الباردة * مما حتم على الولايات المتحدة الدخول في تحالفات استراتيجية مع دول أمريكا اللاتينية لمواجهة المد الشيوعي الذي وجد الأرض الخصبة في هذه القارة لينشر فلسفته وأفكاره، وبذلك ظل نفوذها قويا في أغلب هذه الدول «لكونها الشريك التجاري الأكبر والمستثمر الأكبر والمحتكر للعلاقات العسكرية والحليف للحكام الدكتاتوريين الذين وقعت في قبضتهم معظم دول القارة»[1] لكن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية زادت تدهورا في تلك البلدان، ولم تكف المساعدات الأمريكية الشحيحة أصلا في تحسين الوضع المعيشي لعامة الشعب بل استأثرت بها النخبة الاجتماعية والاقتصادية التي استمر تربعها على الهرم الاجتماعي، وازداد الفقراء فقرا، وأضحى التفاوت كبيرا مما خصب التربة «لنمو الفكر الشيوعي عند الشعوب اللاتينية وتنامي الشعور القومي»[2] وزاد من حدة الكراهية تجاه الولايات المتحدة، وضرورة انتقال السلطة إلى قوى وطنية من الطبقة المتوسطة كالمثقفين، وقيادات الاتحادات العمالية... المّيالين إلى الإصلاح الاجتماعي، وإرساء النزعة القومية، هذه النخب كان عليها أن تدخل في مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة وأعوانها من الأنظمة الدكتاتورية، ومن أشهر هذه المواجهات والثورات ثورة بوليفيا 1952 التي استطاعت تأميم مناجم القصدير التي كان يسيطر عليها كبار الملاك والرأسماليون الأمريكيون بالإضافة إلى الشروع في إصلاحات سياسية واجتماعية في صالح عامة الشعب .

تعاقب على حكم غواتيمالا كثير من الدكتاتوريين حتى وصل إلى الحكم الرئيس **جاكوبوأربينز J. arpenz** (1913-1971) الذي أجرى حزمة من الإصلاحات خاصة في المجال الزراعي والاقتصادي عموما مهددا بذلك مصالح الشركات الأمريكية وخاصة شركة سكك الحديد وشركة الفواكه المتحدة، تحركت الولايات المتحدة لحماية مصالحها، فاتهمت الحكومة الجديدة بموالاة الشيوعية، فدعمت ثورة مضادة قادها الليبيراليون وباركتها الكنيسة،

* – الحرب الباردة مصطلح يستعمل لوصف حالتي التوتر والتنافس اللتين كانتا بين الوليات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي وحلفائهما من منتصف أربعينات القرن العشرين إلى أوائل التسعينات منه.

[1]– المرجع السابق، ص 22.

[2]– المرجع نفسه، ص 24.

استطاعت إسقاط الرئيس وإعادة البلاد إلى سابق عهدها تحت الوصاية الأمريكية اقتصاديا وسياسيا.

أما ثورة، كوبا التي قادها **فيدال كاسترو F. Castro** ورفيقه في الكفاح الأرجنتيني الطبيب **أرنستو تشي غيفارا E. Ché Guevara** (1928-1967) سنة 1958، وبتأييد من الجماهير الشعبية استطاعت إزاحة الدكتاتور**باتيستا F. Batista**(1901- 1973) المدعوم من الولايات المتحدة الذي رهن البلاد لشركاتها الاستثمارية، وبعد تحقيق النصر أجرت حكومة الثورة عديد الإصلاحات في صالح العمال والفلاحين، كما ضربت البرجوازية الكوبية في العمق، واستهدفت تحرير البلاد من التبعية لأمريكا حيث كانت سبع (07) شركات أمريكية تحتكر إنتاج السكر، وشركات أخرى تتولى نهب الثروات التعدينية...[1] وبالتفاف الجماهير الشعبية حول الثورة وبدعم من الاتحاد السوفياتي استطاعت الثورة الصمود في وجه المحاولات العديدة للإطاحة بها من قبل الولايات المتحدة.

لم يتوقف التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية لدول أمريكا اللاتينية عند كوبا، فقد تدخلت عام 1965 عسكريا في الدومينيكان بعد الإطاحة بالدكتاتور **رفائيل تروخيو R. Trojello (1891-1961)** - أحد رجالها الأقوياء وأقدم دكتاتوريي ذلك الزمان - من قبل الثورة الشعبية ذات الميولات اليسارية، وانتهى الغزو بتنصيب حكومة موالية لها، الأمر نفسه حدث في الشيلي سنة 1973 عندما أطاحت وكالة الاستخبارات الأمريكية الداعمة للجنرال **أغوستو بينوشي A. Pinochet** (1915-2006) بالزعيم الشعبي ذي التوجه الاشتراكي **سالفادور أليندي S. Allendé** الذي اعتبرته أمريكا «خطرا كبيرا يتهدد مصالحها»[2]، ولم يكن الوضع مختلفا في بنما التي كانت الولايات المتحدة تتمتع بخيرات قناتها الشهيرة التي تربط المحيطين الأطلسي والهادي منذ 1903، لكن شعب بنما ضاق ذرعا بالوجود الأجنبي في بلاده، فخاض العصيان المدني سنة 1969 الذي انتهى بتنصيب

[1]- انظر: المرجع السابق، ص88.

[2]- موقع ويكيبيديا، www.wikipidia.org، بتاريخ: 26-08-2014، الساعة 22:13.

رئيس للبلاد معارض للوجود الأمريكي، فكان أن جيّشت أمريكا الثورة المضادة التي قادها الجنرال **مانويل نورييغاM.Noriega**، الذي تولى قيادة البلاد تحت توجيهات من نصبوه رئيسا لها، وعندما أراد الخروج عن طوع أمريكا ألقت عليه القبض بعد إنزال عسكري سنة 1989، وزُجّ به في السجن بتهمة الاتجار بالمخدرات .

كانت هذه بعض النماذج التي تبرز سياسة الولايات المتحدة الأمريكية مع جاراتها الجنوبية – التي تعتبرها حديقتها الخلفية تفعل فيها ما تشاء – بدواعي الأمن القومي المشترك ومجابهة الشيوعية، وذلك بتأييد الحكام الدكتاتوريين الذين نصبتهم سيوفا على رقاب الشعوب المستضعفة أو بالتدخل العسكري المباشر في حال الضرورة ما خلق جوا من العداء والكراهية تجاهها عند شعوب القارة .

2 – أدب الرفض والتحرر في مسايرة نضالات شعوب القارة :

2 -1 – أصوات محتجة على الغزو الإسباني :

فكرت إسبانيا مليا حينما غزت العالم الجديد في وسائل السيطرة على الهنود الحمر، فكانت البداية بالتنصير الذي اتخذ منحى قسريا في أكثر الأحيان ؛ فقد كان الهنود يجبرون على الدخول في المسيحية عنوة وبشتى أشكال القسوة والعنف، وفي هذا الباب أولى الملوك الإسبان أهمية بالغة لإنجاح عملية التنصير، فأصدر الملك **كارلوس الخامس** سنة 1536 مرسوما يوصي بتعلم القساوسة لغات الهنود لكي يقوموا بتبليغ تعاليم الدين الجديد، وهو الموقف نفسه الذي تبناه ابنه من بعده الملك **فيليب الثاني Felipe II** ، فعكف المبشرون اليسوعيون على تعلم اللغات الهندية، وبها استطاعوا تعليم الهنود الحمر تعاليم المسيحية، وكان لهذا القرار تأثير مباشر على الإنتاج الأدبي في بدايات الوجود الإسباني في أمريكا الجديدة « لذلك فإن الأدب راح ينتشر بلغات محلية وكان ذا مضمون مسيحي واضح: قداسات، تبشير، تعاليم، حياة القديسين...»[1]، وهذا ما يفسر ضعف الأدب في هذه الفترة الأولى التي تواجد فيها الاستعمار الإسباني في العالم الجديد، زد على ذلك ضياع التراث الهندي الذي كان دينيا وثنيا في أغلبه، وكان الدين الجديد – بحسب القائمين عليه – يهدف إلى « محو الخرافات المحلية لتحل محلها مبادئ الدين الحقيقي»[2].

إن موقف الملكين **كارلوس االخامس** و**فيليب الثاني** فيما تعلق بتعلم لغات الهنود ما كان ليلهي الإسبان عن فرض اللغة الإسبانية لغة للدولة، وقد تجسد ذلك بصفة رسمية في العام 1770 حين أصدر الملك **كارلوس الثالث** ملك إسبانيا أمرا ملكيا يقضي على الاختلافات اللغوية المستعملة في المستعمرات، وأن لا تستعمل كلغة للمخاطبة إلا الإسبانية' وبذلك فرضت اللغة الإسبانية عنوة على الهنود فكان عليهم أن يتعلموها إذعانا للإمر الواقع، وبسبب هذا القانون كانت جميع الأعمال الأدبية – رغم قلتها – باللغة الإسبانية، وكان أصحابها من الإسبان المولودين في أمريكا الإسبانية* أو الملونين، وهؤلاء لم يشعروا بوطأة

---

[1]– محمود صبح، (ثقافة أمريكا اللاتينية)، مجلة عالم الفكر، المجلد19، العدد 1، أبريل مايو يونيو، 1988، وزارة الإعلام والثقافة، الكويت، ص72.

[2]– المرجع نفسه، ص 76.

* – أمريكا الإسبانية: تطلق على المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية التي كانت اللغة الإسبانية لغتها الرسمية.

الاستعمار على البلاد وبالظلم الذي حل بالهنود إلا القليل طبعا من ذوي المشاعر الإنسانية النبيلة، وكان أبرزهم **بارتولومي دو لاس كازا** «الذي سيبدأ معه الجدال والنضال الملتهب من أجل العدالة»[1].

كان رجال الدين ا!ž]ŏo ، هم أول من احتج على ممارسات الإسبان في أمريكا اللاتينية – وهم الذين أوكلت إليهم مهمة التبشير – فقد استشعروا معاناة الهنود والأهداف الحقيقية للغزو، **فبارتولومي دولاس كازا** الذي عقد العزم على الدفاع عن الهنود احتج أمام المحكمة الإسبانية على سوء المعاملة التي يلقاها الهنود، وكتب كثيرا من الرسائل إلى ملك إسبانيا يوثّق له فيها ما يرتكبه جنوده من جرائم نكراء، فيقول: « إن المرء لا يستطيع أن يتخيل أبدا أن في قدرة البشر أن يقوموا بمثل هذا التخريب، لقد عشت في بلاد هذه الشعوب أكثر من خمسين عاما وشاهدت بأم عيني ما ارتكبوه من فظاعات وجور، ولو أن سموكم علم بالنزر اليسير من هذه الفظائع لتوسل إلى جلالتها أن تمنع الطغاة من طغيانهم باسم الفتوحات» [2] إنها شهادة واحد ممن عايشوا محن الهنود الحمر وهمجية الغزاة الإسبان في سبيل الحصول على الذهب والاستيلاء على الأرض، وهذا نائب إقليم الدومينيكان **فراي بيدرودوكوردوفا Fray Pedro de cordova** (1460– 1525) يخاطب **كارلوس الخامس** سنة 1517 واصفا مأساة الهنود وجرائم جنود الملك: « لم أقرأ عن أية أمة، ولم أعثر عليها حتى بين الكفار، قامت بارتكاب أعمال شريرة ووحشية إلى هذا الحد ضد أعدائها، بهذا الأسلوب وهذا السلوك كما فعل المسيحيون بحق تلك الشعوب البائسة... حتى فرعون والمصريون لم يلحقوا ببني إسرائيل هذه الوحشية» [3]، إنه يرى أن هذه الجرائم هي الأفظع والأكثر شراسة في تاريخ البشرية، ولذلك تستحق التنديد والشجب، لكن لا أحد أعار هذه الملاحظات أهمية، فالمهم كان هو استكمال الغزو والسيطرة على السكان الأصليين بشتى الوسائل والسبل .

[1]– سيزارفرناندث مورينو،أدب أمريكا اللاتينية (القسم الثاني)، ص261.

[2]– برتولومي دي لاس كازاس، المسيحية والسيف (وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان رواية شاهد عيان)، ص 19.

[3]– مايكل برير، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (أمريكا اللاتينية، جنوب إفريقيا،فلسطين)، ص98.

كتب مطران كويتو عاصمة الإكوادور الحالية سنة 1597 **فراي لويس لوبيز دي سوليس Fray luis lopez de Solis** (1534 – 1606) مكررا الوصف نفسه عن آلام السكان الأصليين: « إن صرخات أولئك المواطنين المحليين التي سببتها المشقات الجمّة التي عانوها على يد الإسبان تصل إلى الرب»[1]، وكان الإسبان قد استغلوا الهنود في أعمال السخرة والأشغال الشاقة، فهلك منهم الكثيرون في أعمال البناء وشق الطرقات وحمل الأثقال ناهيك عن تفشي الأمراض القاتلة كالجدري مما أدى إلى هلاك الملايين منهم، وهذه شهادة لمطران آخر يحتج فيها أمام ملكة النمسا متفجعا على حالة الهنود الحمر، يقول :« لكن الهنادرة (الهنود) وهم في أرضهم منذ دخلها الإسبان قد تبدد منهم مئات الملايين بسبب المضايقات والظلم الذين عانوهما ومن خلال الخدمة الشخصية الصارمة التي فرضت عليهم» [2].

تظهر هذه الشهادات – وغيرها كثير– مدى تعاطف بعض رجال الدين المسيحيين مع الهنود واستشعارهم لمعاناتهم، واستنكارهم لممارسات الغزاة بالرغم من أن الكنيسة كانت جنبا إلى جنب مع الجنود الإسبان في الخطوط الأمامية، وهي التي بررت عملية الغزو بداعي نشر المسيحية وانقاذ هؤلاء الوثنيين من العقاب الإلهي وهدايتهم إلى الدين الحق، ولذلك لقيَّ المتعاطفون مع الهنود المضايقات بسبب مواقفهم الإنسانية، كما حدث **لبارتولومي دو لاس كازا** الذي تعرض للنقد اللاذع وتشويه صورته وسيرته، فقد وصفه أحد معارضيه من رجال الكنيسة في شكوى إلى الملك الإسباني بأنه «رجل ضجر قليل التربية ومهين ومؤذ ومثير للمشاكل» [3]، واقترح على الملك أن يفرض عليه الإقامة الجبرية حتى لا يثير الهنود ويفسد طباعهم.

هذه المواقف الإنسانية المتعاطفة مع الهنود مع أهميتها إلا أنها كانت تفتقد إلى الفعل التحريضي الذي يدفع هذه الجموع المستضعفة للثورة على أوضاعها ومن تسببوا في عذاباتها، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة رجال الدين المتسامحة مع الآخر والتي ترفض العنف.

[1]– المرجع السابق ، ص98 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 99.

[3]– المرجع نفسه، ص 96.

أول من وصف واقع الهنود في أمريكا الإسبانية في ميدان الأدب، – وفي البيرو بالضبط– كان **الإنكا غرسيلاسو دو لافيغا** * **Inca Garcilaso de La viga** (1539 –1616) في مؤلفه الشهير (الشروح الملكية) وهو الذي أحس بالخجل من الهمجية والوحشية التي عامل بها الإسبان الهنود الحمر، فراح يدافع عنهم ويرفض فكرة الهمجية عنهم، ويرى بأنهم أناس قابلون للتمدن والحضارة، ويعد **دولافيغا** « طليعة في فن القصة في أمريكا اللاتينية في عصر الاستعمار في كتابه تعليقات ملكية أو(الشروح الملكية) الذي نشر في جزئين بين عامي (1609 و1616)، وهو كتاب فريد من نوعه، فهو تاريخ وقصة في آن واحد»[1] هذا الكتاب كشف عن وجود حضارة متطورة في البيرو قبل الغزو الإسباني كما وصف معاناة أبناء البلاد الأصليين على أيدي الإسبان خاصة في الجزء الثاني منه، ونفى عنهم ما اتهموا به من همجية وبدائية، والكتاب مزيج بين الواقع والخيال وفن القصة، أما أشهر الأعمال الشعرية في القرن السادس عشر، فكان ملحمة لا أروكانا للشاعر الشيلي **ألونسو دو إرسيلا إي زونيغا Alonso de Ercilla y Zuniga** (1533–1594)، وهو شاعر إسباني المولد ومع ذلك تعتبر ملحمته من أدب أمريكا اللاتينية لأنها نابعة من الواقع الأمريكي ؛ فهي تتغنى ببطولات شعب أراوكو في الشيلي ونضالهم ضد الغزاة الإسبان.

الملاحظ أن الأدب الأمريكي اللاتيني باللسان الإسباني في فترة الاحتلال كان قليلا نظرا لجملة من العوامل، أهمها:

– قلة الأدباء، فالذين هاجروا إلى العالم الجديد كان أغلبهم من المحاربين والباحثين عن الثراء وبعض رجال الدين –كما تقدم – وما كان من أدباء في هذه الفترة فإن أغلبهم إسباني المولد أو من المولدين، وكانت أعمالهم تابعة للأدب الميتروبولي الإسباني، حيث يسيطر

* – الإنكا غرسيلاسو دو لا فيغا مؤرخ بيروفي معروف باسم الإنكا، لأن أمه تنتسب إلى ملوك الإنكا في بيرو، وهو خلاف الشاعر والمؤرخ والمحارب الإسباني غارسيلاسو دو لافيغا (1498–1536).

[1]– حامد أبو أحمد، قراءات في أدب إسبانيا وأمريكا اللاتينية، الطبعة 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص177.

عليها طابع الباروك * الذي يعنى بالزخارف والأساليب الملتوية الموحية بالفخامة، وعليه فإن هذا الأدب كان أدبا أرستوقراطيا «يوظف لتسلية الأقلية الحاكمة في أوقات فراغها» [1].

- تحريم الفنون القصصية«لضمان قطع الطريق على نمو الخيال المغرق واختلاط الواقع بالخرافة، وضمان انصراف الناس إلى التبشير الديني المسيحي بين الهنود»[2]، ومن هنا كانت محاكم التفتيش تمارس مهمة مراقبة الأعمال الأدبية والفنية حتى لا تتسلل الأفكار التحررية والتنويرية التي بإمكانها أن تهدد عرش إسبانيا في المستعمرات الأمريكية، ولذلك وضعت السلطات قائمة بالكتب الممنوعة، و«كانت محاكم التفتيش تتولى مهمة الرقابة والسيطرة على الفكر ومحاربة الكتب التي تتناول الخيال لأنها تخاف من روح التجديد والابتكار»[3]، ولذلك كان يعاقب كل من يخالف التعليمات ولا يتقيد بها، ولملأ الفراغ في مجال الكتاب تولت السلطات في إسبانيا مهمة إرسال الكتب والمؤلفات الأدبية من إسبانيا في محاولة للسيطرة على الفكر هناك والإبقاء على التبعية للثقافة الإسبانية، وحتى المسابقات الأدبية في المستعمرات كانت تأخذ بالمعايير الإسبانية « وفي ليما والمكسيك اللتين عرفتا تطورا ملحوظا كان المجتمع الأرستقراطي ينظم مسابقات أدبية للأعمال التي تقلد وتحاكي ما هو موجود في إسبانيا»[4]، ولذلك كان الأدب في فترة الاستعمار أدبا إسبانيا في أساليبه وموضوعاته وفنونه، مما أدى إلى ندرة الأعمال الأدبية التي تتناول معاناة الناس وهمومهم في تلك الربوع، وأما التحريض على الثورة فهذا ضرب من الخيال في ظل سيطرة الكنيسة ورقابة محاكم التفتيش على الأعمال الأدبية ودور النشر.

- وأقوى العوامل المرتبطة بشح النتاج الأدبي في هذا العصر قلة المتعلمين بين العامة؛ فالتعليم كان دينيا، تسيره الكنيسة، وتراقبه، وتضع مناهجه، وبالتالي فهي لا تسمح برواج

---

* - الباروك: حركة فنية تشمل الأدب والموسيقى والعمارة والنحت ظهرت في نهاية القرن السادس عشر الميلادي في أوربا، تميل إلى المبالغة في الأساليب اللغوية والخروج عن قواعد الأشكال الفنية تكثر من استخدام المحسنات الخطابية.

[1] - أنظر أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص 125.

[2] - صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع، الطبعة2، دار المعارف، القاهرة، مصر،1980، ص 289 .

[3] - أنظر أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص155 .

[4] -Jacques Joset, La littérature Hispano-Americaine ,édition 1, presses universitairesde France,1972,p15 . (ترجمة صاحب البحث)

الفكر الحر والأدب الفعّال الذي يخدم قضايا الإنسان، ويدافع عن حقوق المستضعفين، وبذلك كان التعليم أرستقراطيا يعلم أبناء الإسبان دون غيرهم «لقد كان التعليم الديني والأدبي والفني في أمريكا اللاتينية ذا شكل واحد مجرد، يتبع الأسلوب البلاغي، وقد بنى طابعه الأرستقراطي القوي على أدلة أرسطو في عدم المساواة بين البشر والتي طبقت بالتالي في العالم الجديد حيث اعتبر الإسبان أنفسهم أصحاب الرفعة والسيادة في أمريكا اللاتينية»[1]هذه النظرة الاستعلائية كانت تعتبر الهنود الحمر غير مؤهلين للتعلم، وبأنهم همج ولذلك تركوا لجهلهم، والأمر نفسه بالنسبة للعبيد الأفارقة.

ستهتز هذه السيطرة المحكمة على الفكر والأدب بفعل الأفكار التنويرية التي بشرت بها الثورة الفرنسية، وستظهر نتائج ذلك إبان القرن التاسع عشر وبعد حروب الاستقلال.

- 2.2- أدب فترة الاستقلال:

أ- في الشعر:

يعد **أندري بيلو Andrés Bello**(1781-1865) أحد أوائل الرواد المنادين بالاستقلال الثقافي عن إسبانيا، وذلك لقيامه عند بداية حركة تحرير القارة بالتعبير بشكل واضح عن رغبته في الاستقلال الفكري عن أوربا في كتابه خطبة مقتضبة عن الشعر الذي نشر عام 1823، « وقد أوصى **بيلو** في هذه الخطبة بالعودة إلى الطبيعة والتخلي عن أوربا إقليم النور والفكر»[2].

كان من أفضل الأدباء المنادين بالاستقلال **خوزي ماريا هيريديا Maria Heredia José** (1803-1849) من كوبا، والذي شغلت فكرة الاستقلال باله فجاءت قصيدتاه فوق هرم شولولا، ونياغارا مشبعتان بالحزن الرومنسي الذي يثيره تأمل الهرم المكسيكي شولولا الذي يعود إلى فترة ما قبل الاكتشافات والشلالات الأمريكية، وكلاهما يرمزان إلى أصالة البلاد وشموخها، قضى الشاعر حياته ممزقا بين كوبا بلده والمكسيك منفاه، فكان أدبه بحق صورة صادقة عن الرغبة في الاستقلال عن إسبانيا .

[1]- أوخينيو تشانج رودريغث، ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص 151 .

[2]- المرجع نفسه، ص475.

ومن أساطين الشعر التحرري في أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية نذكر **خوزي خواكين دوأولميدو José joaquin de olmédo** (1780-1847)، وقد كان وطنيا شديد الحماس، ناضل إلى جانب الجنرال **سيمون بوليفار**، **وخوزي دو سان مارتين** من أجل استقلال دول أمريكا الإسبانية، ووظف موهبته الشعرية في خدمة القضايا الوطنية، فصار شاعر حرب الاستقلال، ومن أشهر قصائده نشيد إلى بوليفار* 1825، وفي عام 1830 بدأت الحركة الإبداعية الأدبية بالانتشار في أمريكا اللاتينية ما أدى إلى إذكاء روح الحماسة القومية، وهو ما نجده في العمل الشعري الطويل الذي أبدعه **خوزي هيرناندیز José Hernandez** (1834-1886) الأرجنتيني والمسمى: مارتين فيرو Martin Fierro، ويعتبر هذا العمل بمثابة القصيدة الوطنية الأولى في الأرجنتين والتعبير الأرقى عن الأدب الغاووشي** La Literature Gaucho، لكن نضج الشعر الأمريكي الناطق بالإسبانية لم يتجسد إلا مع تيار الحداثة*** Modernisme والذي كان من أبرز رواده الكوبي **خوزي مارتي José Marti** (1853-1895)، هذا الشاعر الذي ملك عليه حب بلاده كوبا وأمريكا اللاتينية عامة حياته حتى أنه كان يسمي القارة الجنوبية: أمي أمريكا، شارك في أول نواة لحركة تحررية في كوبا عام 1868، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره، نفي بعدها إلى إسبانيا بسبب نشاطه المعادي للاستعمار، وعاش متنقلا من بلد إلى آخر، فأفاده ذلك كثيرا، وأثرى تجربته الإبداعية والثورية، وحين عاد إلى الوطن حمل السلاح مع الثوار إلى أن مات وهو يحمل سلاحه. يقول عنه عبد المعطي حجازي:

* – قصيدة نشيد إلى بوليفار، تجدها بعنوان آخر هو انتصار خونين .

** – الأدب الغاووشي: هو شكل من أشكال التعبير الشعري نشأ في الأرجنتين وسهول البامبا يكتب في أبيات ذات ثماني مقاطع تشبه المواويل الإسبانية القديمة، كان ينشده رعاة البقر الجوالون في السهول الفسيحة حول النار فيما يتناولون الشراب . للمزيد انظر: محمد حمود، أدب أمريكا اللاتينية، الطبعة 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008، ص25 و26.

*** – الحداثة: تيار أدبي تجديدي جاء على أنقض الرومنسية الإسبانية والأوربية عموما متأثرا بالبرناسية الفرنسية والرمزية، ظهرت في الأدب الإسباني سنة 1888 بعد أن نشر الشاعر النيكاراغوي روبين داريو (1867-1916) Rubén Dario ديوانه الشعري الشهير بعنوان أزرق Azul، ويهتم هذا التيار بالمظهر الشكلي للقصيدة وموسيقى الألفاظ وطاقاتها الإيحائية والمزج بين البحور الشعرية ... انظر: محمود علي مكي، (الشعر الإسباني المعاصر في إسبانيا وأمريكا اللاتينية)، مجلة عالم الفكر، المجلد4، العدد2، يوليو أغسطس سبتمبر1973، وزارة الإعلام والثقافة، الكويت، ص 166 و167 .

«خوزي مارتي بدأ من الشعر وانتهى إلى الفعل»[1] في إشارة إلى إيمان الشاعر بالنضال حتى الموت في سبيل الوطن، ومما قاله الشاعر في هذا المعنى:

- فن أنا بين الفنون
- بين الجبال جبل أنا
- أريد الخروج من العالم
- من الباب الطبيعي
- بعربة من الأوراق الخضراء
- للموت يحملونني
- لا تضعوني للعتمة
- لا للموت كخائن
- سأموت ووجهي للشمس
- أحب عندما أموت
- بدون وطن، ودون سيد
- أن يكون على شاهدة قبري ضمة
- من أزهار وراية .[2]

يبدو أن نبوءة الشاعر قد تحققت، فقد مات كما يتمنى شهيدا في سبيل الوطن، وقد كرم بعد الثورة الكوبية 1958 بما يليق بنضاله من أجل الوطن، بأن أقيمت له النصب التذكارية، ورفعت عليها الرايات خفاقة كما أراد.

[1]- عبد المعطي حجازي، (من الشعر إلى الفعل ... وبالعكس)، جريدة الأهرام، العدد 44375، بتاريخ 04-06-2008.

[2]- نقلا عن :كلاوديو راموس بوريغو، (خوسيه مارتي رجل لكل الأوقات)، ترجمة فيروز منتهى مراد، منتديات ستار تايمز www.startimes.com بتاريخ: 25-09-2014، الساعة 15:20.

سينضج تيار الحداثة في أمريكا اللاتينية مع شاعر نيكاراغوا **روبين داريو Rubén Dario** (1867-1916)، هذا الشاعر الذي لم يفوّت الفرصة للتعبير عن رفضه لما حدث أثناء الغزو الإسباني للعالم الجديد مخاطبا **كريستوف كولمب** مُحمّلا إياه كل نتائج الغزو وفظائعه، يقول في قصيدة عَنْوَنَها باسم مكتشف القارة:

- رباه، ليت شعري لم تنعكس قط
- أشرعة مراكبك البيضاء
- على المياه التي كانت من قبل
- دائما بلورية صافية
- وليت النجوم لم تَرَ
- وهي مذهولة في السماء
- مراكبك على السواحل ترسو
- بوصولك نشر الحظ العاثر في طريقنا
- صراعات وهلعا، وحروبا وفزعا
- وحُمًى دائمة[1].

لم يفت أن يعبر عن معارضته للتدخل الأمريكي الشمالي في شؤون القارة الجنوبية، وأن يفضح غزو جيران الشمال لبعض دول الجنوب، وأن يحذرهم في الآن ذاته من هبّة الشعوب القوية في قصيدة بعنوان: **إلى روزفلت:**

- بكلمة الإنجيل أو شعر وَالتْ وَايْتْمان
- يجب أن نصل إليك، أيها الصياد
- أنت الولايات المتحدة
- أنت المجتاح التالي

[1]- القصيدة بعنوان كريستوف كولمب، ترجمة محمد محمد الخطابي، أنظر موقع مؤسسة محمود درويش للإبداع، www.mahmod darwich.com ، بتاريخ 06-07- 2014، الساعة :20:18.

- لأمريكا الساذجة ذات الدماء الأهلية
- التي ما زالت تصلي للمسيح ما زالت تتحدث الإسبانية
- أنت نموذج متغطرس وقويّ لعرقك
- تعتقد أن الحياة حريق
- حذار، أمريكا الإسبانية تعيش
- هناك آلاف من أشبال الأسد الإسباني
- إن ثورة البؤساء تنشرها الأنفس الخيرة [1].

يورد **محمود علي مكي** تحليلا لإحدى قصائد **روبين داريو** بعنون صيفية من ديوانه الشهير أزرق الذي تجسدت 5ِNj مبادئ الشعر الحداثي في أدب أمريكا اللاتينية، في هذه القصيدة الرمزية يحكي لنا عن قصة حب حسية تنتهي بمأساة فاجعة، وبطلا هذه الحادثة ليسا من البشر، وإنما هما نمرة ونمر يعيشان في الغابات الهندية الكثيفة، لكن هذا الحب ما يلبث أن يتحول إلى فاجعة من بندقية صياد أبيض ذلك الأمير الذي يتسلى بصيد الوحوش، وفي الأخير يظهر النمر وهو يحلم بأنه يغمد نابه وظفره في نهود امرأة بيضاء وردية البطن، وأنه يمزق عشرات من أجساد أطفال شقر سمان[2]... ونرى في هذه الحادثة كيف يتعاطف الشاعر مع هذين الحيوانين، ويفسر محمد علي مكي هذه القصة كما يلي: « فالنمرة إنما ترمز إلى شعوب أمريكا اللاتينية وأمثالها من تلك الشعوب التي أطلق عليها الأوربيون والأمريكيون البيض من سكان شمال القارة في عجرفة استعمارية اسم الشعوب المتخلفة، وما فعله الأمير بالنمرة ليس إلا ذلك الاستغلال البشع الذي أمعنت فيه دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، أما حلم النمر فهو رمز لما يولده الاستغلال في نفوس الشعوب المستعبدة من رغبة مسعورة في الانتقام» [3].

---

[1]– ناديا ظافر شعبان، (عندما هجا روبين داريو ...روزفلت)، جريدة الحياة، لندن، العدد 14636، بتاريخ 20-04-2003، ص 14 .

[2]– انظر: محمود علي مكي، (الشعر الإسباني المعاصر في إسبانيا وأمريكا اللاتينية)، ص167.

[3]– المرجع نفسه، ص 167.

هذه النماذج المستعرضة توحي بمدى تفاعل شعراء الحداثة في القرن التاسع عشر مع قضايا الشعوب المستضعفة، ومدى ارتباط الشعراء بهموم المواطنين وأحلامهم، وتسجل مواقفهم من القضايا التاريخية الماضية والحوادث الراهنة.

كان البحث عن الأصالة في القرن العشرين أوائله أكثر المسائل التي شغلت بال الأدباء والشعراء في أمريكا الناطقة بالإسبانية إضافة إلى اكتشاف أساليب تعبيرية جديدة تجسد شخصية القارة وهويتها خصوصا وأن أدب القرون السابقة كان في أغلبه تابعا للأدب الأوربي مستنسخا أشكاله التعبيرية ومدارسه الفنية، هذه الرغبة أحدثت ثورة هامة في الشعر الأمريكي اللاتيني كان من بين أوجهها «الشعر الحر، إلغاء القافية، حرية التجديد في الاستعارات واستعمال اللهجة العامية »[1] بالإضافة إلى ظهور موضوعات جديدة أهمها موضوع ابن البلد؛ ويتعلق الأمر بالشعر الذي يتناول قضايا وهموم الطبقات العامة المهمشة في المجتمع، وأشهر شاعر في هذا المجال هو الشاعر الكوبي **نيكولاس غيين Nicolas Guillén**(1902-1989) الذي عرف بميله إلى تناول قضايا السود المحرومين في كوبا وغيرها من بلاد جزر الكاريبي، أولئك الذين استغلوا في مزارع قصب السكر وكل الأعمال الشاقة المهينة لكرامة الإنسان منذ أن جلبوا عبر السفن كالبهائم من إفريقيا ليسدوا الحاجة المتزايدة لليد العاملة، ظل الأمر كذلك حتى استقلال كوبا حيث وجد هؤلاء أنفسهم كما كانوا قبله، عرف الشعر الذي تناول هذه الفئة من الناس في أمريكا اللاتينية بالشعر الأسود* وفيه احتجاج قوي على الأوضاع التي يعشها هؤلاء السود.

عرف عن الشاعر اتجاهه اليساري، فقد انظم إلى الحزب الشيوعي الكوبي، وبهذا راح يعالج « الموضوعات الاجتماعية والسياسية المستمدة من أوضاع السود وحياتهم البائسة في ظل التفرقة العنصرية التي كانت مفروضة في كوبا»[2]، تعرض الشاعر للمضايقة والاضطهاد في عهد الدكتاتور **باتيستا F. Batista** حتى سقطت الدكتاتورية بعد ثورة 1958 التي جاءت بالنظام الشيوعي،فكان الشاعر شاعرها الناطق باسمها المشيد بمنجزاتها. كان أول دواوينه يحمل عنوان تنويعات صوتية سنة 1930، ثم ديوان سونغورو

[1]- محمود صبح، (ثقافة أمريكا اللاتينية)، ص89 .

* - الشعر الأسود في أمريكا اللاتينية سيكون إرهاصا لشعر الزنوجة عند إيمي سيزار وليوبول سيدار سانغور وغيرهما .

[2]- محمود علي مكي، (الشعر الإسباني المعاصر في إسبانيا وأمريكا اللاتينية)، ص190 .

كوسونغو عام 1931، وأما ديوانه الأبرز فهو جزر الهند الغربية في 1964، وفيه يصور سيطرة الإمبريالية الأمريكية بشركاتها الاستثمارية على ثروات جزر الكاريبي، « فطابع الاحتجاج السياسي والاهتمام بمشكلات البلاد الاجتماعية ولا سيما مشكلات الطبقات الفقيرة الممتهنة أغلب على هذا الديوان» [1]، وفيه تغلب نبرة حزينة لكنها متمردة وثّابة إلى التحرير وكسر نير الاستعباد والاستغلال، يقول في إحدى قصائد ديوان جزر الهند الغربية ليميتد (المحدودة):

- جزر الهند الغربية
- جوز هند، وتبغ، وعرق
- هذا شعب قاتم مبتسم
- محافظ متحرر
- من رعاة الماشية وزراعيي قصب السكر
- حيث يجري المال أحيانا كالأنهار
- ولكن حيث يعيش الناس دائما في فقر مدقع
- أرض فيها موانئ لخدمة أولئك القادمين من تاهيتي
- أو من أفغانستان أو سِيُولْ
- الذين يأتون لكي يأكلوا سماءنا الزرقاء
- ويشربوا عليها من روم الباكاردي*
- موانئ تتكلم انجليزية
- تبدأ بقول يِيسْ** وتنتهي بقول يِيسْ
- انجليزية القواد ذي القوائم الأربع... [2]

[1]- المرجع السابق، ص190.

* - البكاردي: نوع من شراب الروم تشتهر به كوبا (المترجم).

** - ييس بمعنى حرف الجواب نعم بالعربية .

[2]- المرجع نفسه، ص225 و226.

هذه الأسطر تلخص معاناة الكوبيين عموما والسود منهم على الخصوص، فبالرغم من أن بلادهم كثيرة الخيرات والشعب مضياف مسالم، فإن هذه الخيرات يستولي عليها الأجنبي القادم من كل البقاع، ويعيش أبناء الأرض في فقر مدقع ومعاناة دائمة.

يتنبأ الشاعر في ديوانه اللحن الكامل الصادر عام 1948 بقرب الثورة التي ستحرر الرجل الأسود من العبودية، وذلك ما نلمسه خاصة في قصيدة عرق وسوط «فالقصيدة ليست إلا صيحة انتقام للعبد من سيده الذي طالما استند إليه ووطئ كرامته، وكأنه يبشر بقرب بزوغ فجر الثورة»[1]، وبعد نجاح الثورة الكوبية أصبح شعر **نيكولاس غيين** مليئا بالتفاؤل والاعتزاز بالحرية والافتخار بمنجزات الثورة، يظهر ذلك في ديوانيه عندي وفي قصائد غزلية.

أما ثاني أيقونة في الشعر الثائر على الاستغلال والتدخل الأمريكي في شؤون القارة الجنوبية فهو **بابلو نيرودا Pablo Neruda** (1904-1973) شاعر الشيلي، فكان ديوانه مقام في الأرض المنطلق لالتزامه الطوعي بقضايا الإنسان المظلوم عموما، وفي ديوانه النشيد الشامل الصادر عام 1950 ينصب الشاعر نفسه متحدثا باسم أمريكا اللاتينية، ويظهر ثائرا على الغطرسة الأمريكية الشمالية في حق شعوب العالم، و«الديوان كله نشيد صارخ حار يتغنى بأمريكا اللاتينية تاريخها وسياستها وبيئتها الطبيعية وحيوانها ونباتها، وهو مزيج من الشعر الغنائي والتعبير الملحمي الجزل في نبرة اشتراكية»[2]، وفي هذا الديوان يدافع **نيرودا** عن المباشرة والأسلوب الخطابي اللذين ميزا الديوان، وأعابهما عليه النقاد، فيرد بأن المباشرة ترتبط بمفهومه للتأريخ، فالشاعر عنده مؤرخ لعصره، يقول: « إن المباشرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمفهومي للتأريخ، فالشاعر يجب أن يكون إلى حد ما مؤرخا لعصره، والتأريخ يجب أن يكون جوهرا لا نقاء، ولا تثقيفا وتهذيبا، وإنما يجب أن يكون وعرا، معفرا ماطرا، ويوميا... يجب أن يتضمن البصمات البائسة للأيام وأن يحمل ضيق الإنسان وزفراته»[3]. إن الديوان الشامل هو تاريخ أمريكا اللاتينية قبل الغزو وبعده وصولا إلى التاريخ الحديث بنكهة أمريكية، استغرق الشاعر في كتابته عقدا من الزمان، وهو مقسم إلى خمسة عشر(15)

[1]- المرجع السابق، ص192.

[2]- المرجع نفسه، ص204.

[3]- بابلو نيرودا .النشيد الشامل، ترجمة صالح علماني، الطبعة 1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق،سورية،2002، ص6.

فصلا موزعة على مائتين وتسعة وأربعين (249) نشيدا، ويتجاوز عدد أبياته ثلاثة عشر ألف (1300) بيت من الشعر. ومنه اخترنا أسطرا من قصيدة بعنوان ساندينيو*، وفيها تتجلى النزعة المعادية للولايات المتحدة الأمريكية والرفض الشديد للتدخل الأمريكي في شؤون دول أمريكا اللاتينية واستغلال ثرواتها، كما أن فيها تعرية لسياسة الإغراءات التي تعتمدها أمريكا مع عملائها من حكام هذه الدول، وإشادة بوطنية الثوار ونزاهتهم، وفيها يقول:

- عندما دفنوا في أرضنا
- الصلبان المحترقة التي استُهلكت دون جدوى
- وصل الدولار ذو الأسنان العدوانية
- ليقضم الأراضي
- في حنجرة أمريكا الرعوية
- أمسك بَنَمَا بمزرد قاس
- وغرس أنيابه في الأرض الطازجة
- لطخها بالوحل، بالوسكي، بالدم
- ونصب رئيسا ببزة رسمية
- وبعد ذلك أتى الفولاذ
- وقسّمت القناة أماكن الإقامة
- هنا الأسياد، وهناك العبيد
- ثم هرعوا نحو نيكاراغوا
- نزلوا وهم يرتدون الأبيض
- يقذفون بالدولارات والرصاص
- ولكن ظهر هناك قائد
- وقال: لا، لن تضع هنا
- امتيازاتك وزجاجاتك

* – هو أغوستو ساندينيو (1895–1934)، قائد الثورة الساندينية ضد التدخل الأمريكي في نيكاراغوا بين عامي (1927–1932) .

- وَعَدُوه بمنصب رئيس، بقفّاز
- ووشاح ثلاثي، وحذاء لامع
- جديد
- فخلع ساندينيو نعليه
- وغاص في المستنقعات المعكرة
- وجعل وشاح الحرية
- المبلل في الغابات ثلاثيا
- وطلقة بطلقة
- رد على المتحضرين [1].

يلاحظ عند أغلب الأدباء الأمريكيين اللاتينيين البعد القاري في أشعارهم ؛ فهم يعتبرون بلدان القارة الجنوبية وحدة واحدة، وهم بذلك يحققون حلم **سيمون بوليفار** المحرر الذي كان يحلم بالوصول إلى هذه الوحدة في القرن التاسع عشر، ويجمع كثير من المتخصصين في أدب القارة على تأكيد هذ الفكرة « إذ يتفق نقاد بالغوا الاختلاف في موقعهم الجغرافي وفي منظورهم الجمالي ... في اعتبار الشعورين القومي والأرضي للأدب الأمريكي اللاتيني المعاصر سمة مميزة»[2]، ومنهم من تجاوز حتى حدود القارة ليشاطر شعوب العالم بأسره معاركها من أجل دحر قوى الظلام والاستغلال والعبودية، وهؤلاء أغلبهم من ذوي التوجه الماركسي والشيوعية الأممية.

نجد في دراسة **لمحمد عبد الله الجعيدي*** بعنوان صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر أن شعر المقاومة والتحرر في أمريكا اللاتينية يعالج موضوعين أساسيين، هما [3]:

---

[1]– المصدر السابق، ص 227 .

[2]– سيزارفرناندث مورينو،أدب أمريكا اللاتينية (القسم الثاني)، ص257.

* – محمد عبد الله الجعيدي المولود سنة 1948 بعراق السويدان بغزة في فلسطين، أستاذ الدراسات العربية بجامعة مدريد، ألف العديد من الكتب والبحوث حول الأدباء الإسبان والأمريكيين اللاتينيين، وحول فلسطين، منها: كتاب فلسطين في الشعرالهسباني المعاصر 2006.

[3]– انظر: محمد عبد الله الجعيدي، صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر، الطبعة 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1999، ص54 و55.

- الوطن الذي يُجسد في صورة الأم الولود التي تمنح الحياة، وتقدم الرجال الذين يحمونها من الغزاة المستعمرين، كما يُصور الوطن في صورة الفتاة البكر التي يتربص بها الانتهازيون، وبذلك تثور حمية أبناء الوطن الشرفاء للدفاع عن الشرف والقيم الإنسانية.

- وأما الموضوع الثاني فهو الإنسان الذي قد يكون غازيا مستعمرا، ويظهر في قصائد الشعراء عنصريا، مصلحيا، مغرورا، غدّارا، كذّابا يلصق التهم بالثوار قصد تشويههم، وقد يكون هذا الإنسان ابن الوطن المخلّص لوطنه، وقد صوره الشعراء مكافحا يسلك طريق الشهادة ليخلص الوطن من الغزاة، يدافع عن الجذور والأصالة، ويرفض التماهي في الآخر، لا يطلب مغانم مادية، وبرأي **محمد عبد الله الجعيدي** دائما، فإن الطابع المشترك لهذه النصوص هو أنها جميعا صادقة في تصوير الواقع كما أن كثيرا من القصائد المقاومة مجهولة النسب، ويرجع ذلك لكونها «كتبت خلف القضبان وأخرجت مهربة خلال الاحتلال اليانكي* والتسلط الدكتاتوري»[1].

ومن أكثر الشعراء ثورية وتصميما على التخلص من الدكتاتورية ومن يدعمونها في الداخل والخارج في النصف الثاني من القرن العشرين **أرنستو كاردينال Ernisto Cardenal** المولود سنة (1925) شاعر الثورة الساندينية الذي يعتبر شعره تسجيلا لتاريخ نيكارغوا الحديثة من الداخل، فقد انخرط الشاعر في صفوف الثورة لإسقاط حكم الدكتاتور **سوموزا** المدعوم من الولايات المتحدة الأمريكية ما « جعل شعره وثيقة تاريخية وسياسية بالغة الأهمية»[2] تصور الأحداث وتشيد بصناع الثورة من أبناء الشعب البسطاء الذين ضاق بهم الظلم ذرعا فحملوا السلاح في وجه الطغاة، يقول في قصيدة ساعة الصفر أشهر قصائده متحدثا عن **ساندينيو** قائد الثورة :

- لم يكن عسكريا ولا سياسيا
- والكثيرون من رجاله
- كانوا شبابا

* – اليانكي yankée: كلمة تطلق على سكان الولايات المتحدة الأمريكية.

[1]– المرجع السابق، ص 63.

[2]– محمد عبد الله الجعيدي، أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)، الطبعة1،المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1986، ص 13.

- بقبعات من النخل وصنادل
- أو حفاة مسلحين بأسلحة معطوبة وشيوخا بلحى
- بيضاء وأطفالا في الثانية عشر من العمر
- يحملون البنادق ...
- يستعرضون الراية في المقدمة[1].

يتميز شعر **كاردينال** بتفاؤله وإيمانه بانتصار الحق على الباطل واندحار قوى الشر والطغيان على الأرض، وهذا هو الشعر الهادف والكلمة البناءة التي تحفز الهمم وتقرب النصر، يقول في القصيدة نفسها:

- في مايو تأتي بوادر الأمطار
- فتولد الحشائش الطرية من الرماد
- في مايو تزهر الزنابق في شوارع ماناغوا [2].

كانت هذه عينات من شعر شعراء التحموا مع عموم الشعب فتحسسوا همومه، وعايشوا معاناته، وكافحوا لأجل شعوبهم وأوطانهم ليرسموا طرق الأمل المشع بنور الحرية والنصر والكرامة الإنسانية، كما نددوا بقوى الاستغلال المختلفة، وفضحوا ممارسات الشركات المتعددة الجنسيات المتحالفة مع الدكتاتورية الوطنية، فخلّد التاريخ أسماءهم وأشعارهم، وصارت دستورا للثوار في كل مكان.

ب – في الرواية

ظهرت أول رواية في أمريكا اللاتينية عام 1816، وهي رواية الببغاء الغاضب التي صدرت للمكسيكي **خوزي خواكين دو ليزاردي josé joaquin de Lizardi** (1776-1827)، وهي قصة تنتقد بشكل لاذع المجتمع الاستعماري الفاسد في المكسيك، والرواية « تحمل اسم بطلها الذي نلمحه خلال الرواية كرمز واضح لروح التقليد الذي كان يمثل

[1]– المصدر السابق، ص 49.

[2]– المصدر نفسه، ص 58.

الوهن الأساسي للمجتمع الكولونيالي، فالبطل هو ضحية هذا النظام»[1]، فقد استُغل استغلالا بشعا وعاش تائها من مكان إلى آخر بحثا عن الرزق إلى أن حل به المقام في إحدى جزر الفلبين، وهناك يكتشف أن الناس تعيش بطريقة مغايرة بدون أرستوقراطية عاطلة تقتات على جهد الآخرين، وقد جعل المؤلف بطله يعيش الحياة الذليلة في الكنائس والأديرة، والمحاكم القضائية، والجيش، وغيرها من المؤسسات الرسمية الكولونيالية مما جعله يدين هذا المجتمع المتوحش المستغل، وبهذا الشكل يمكن اعتبار هذا الموقف التزاما أدبيا مبكرا يفضح الفساد الكولونيالي، خاصة وأن أدب أمريكا اللاتينية «وقبل الرومانسية أظهر نزوعا أكبر باتجاه موقف ملتزم»[2] كيف لا؟ و**ليزاردي** في مسيرته الحياتية قد اكتوى بنار هذا المجتمع الكولونيالي الفاسد جراء معارضته وآرائه الداعية إلى التفتح والحرية حتى أنه أدخل السجن، ومع ذلك واصل الكاتب نضاله في تعرية مساوئ الأرستقراطية الإسبانية في رواية دون كاترين دو لافاغاندا الصادرة عام 1819.

ستتوالى الروايات في هذا القرن التاسع عشر مع انتشار الرومانسية والأفكار التحررية التنويرية القادمة من أوربا متناولة موضوعا جديدا هو الاحتجاج على الدكتاتوريات العسكرية التي تولت السلطة مباشرة بعد الاستقلال، والتي أعادت البلاد إلى ما كانت عليه زمن الاحتلال من إشاعة للخوف والتهميش والفقر وغيرها من الأمراض الاجتماعية والمفاسد الأخلاقية، ومنها رواية فاكوندو **لدومينغو فاوستينو سارمينتو** الأرجنتيني **Domingo Faustino Saramiento** (1811-1888) وهي رواية احتجاجية على دكتاتورية **خوان مانويل دو روزاس** الذي حكم الأرجنتين من (1835) إلى (1852)، والذي همش المثقفين وكان لهم بالمرصاد بنفيهم خارج البلاد لأنهم يشكلون خطرا على استمرارية حكمه، وفي نفس السياق تدور أحداث رواية أماليا التي ظهرت عام 1851 **لخوزي مارمول José Marmol** (1817-1871)، وهي قصة حب رومانسية يتهم بطلاها بالتآمر بسبب موالاتهما لخصوم الدكتاتور، وتجري مطاردتهما إلى أن يلقيا حتفيهما على أيدي عملاء **روزاس**، وقد وصف في بعض فصولها شخصية الدكتاتور وسلط الضوء على قساوته وشراسته.

---

[1]- بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية (الرواية نموذجا)، الطبعة 1، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 1994، ص75.

[2]- سيزارفرناندث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية (القسم الثاني)، ص 255 .

كما انتشر في هذا القرن تيار الرواية التاريخية، وكان الموضوع الغالب عليه هو نضال الهنود في مواجهة الغزو الإسباني، وبذلك تعود الرواية إلى الماضي في محاولة منها لإعادة قراءة التاريخ، وإنصاف الهندي الذي تعرض لكل صنوف المعاناة، وأشهر هذه الروايات هي رواية إنريكيو Enriquillo المنشورة عام1897 للدومينيكاني **مانويل دو خيسوس غالبان Manuel de jésus Galvan** (1834-1911) التي تؤرخ للفترة التي غزا فيها الإسبان جزيرة الدومينيكان، وتتناول حياة **إنريكيو** الهندي الذي قرر أن يهجر أسرته، ويلجأ إلى المقاومة حتى يحرر بلاده ولا يقع في العبودية عند الإسبان .

ازدهرت الرواية الواقعية في النصف الأول من القرن العشرين ، وبدأت بوادرها مع الثورة المكسيكية سنة 1910 التي قادها **إيميليانو زاباتا Emiliano Zapata** (1879-1919) **وبانشو فيلا Pancho Villa** (1878-1923)، وهي ثورة اعتمدت على الفلاحين والبسطاء لإسقاط البرجوازية الوطنية التي استفادت من خيرات البلاد، تفاعل الأدب المكسيكي مع هذه الثورة، فكانت الرواية أهم الأجناس الأدبية التي استلهمت هذا الحدث التاريخي الذي امتد تأثيره إلى باقي الدول، «فظهرت حركة أدبية أكثر نضجا وتطورا وفي جميع المستويات تتناول موضوعات الثورة وتأثيراتها، ولذلك أجمع النقاد والمؤرخون على أن الرواية بدأت في المكسيك مع الثورة في عام 1910»[1]، وأهم روايات هذه المرحلة هي رواية في الحضيض[*] *** لماريانو أزويلا Mariano Azuela** (1873- 1952)، وهي رواية نشرت عام1916، وتتناول المجتمع المكسيكي قبل الثورة من خلال قصة فلاح يقرر حمل السلاح بسبب اعتداء رجال الحكومة على زوجته، وقتل كلبه، وإحراق بيته، هذه الدوافع أججت الروح الانتقامية في نفس هذا الثائر الذي أصبح زعيما للمتمردين، والذي انتصر في أول مواجهة مع قوات الحكومة، « وتعكس هذه الرواية أحداثا تاريخية واجتماعية حقيقية في هذا الوقت في المكسيك، ولذلك تعتبر شاهدا أدبيا تاريخيا يتسم بالعمق والشمول»[2]، وأما أهم روائي عايش الثورة المكسيكية وألف حولها فهو **مارتن لويس غوزمان Martin Luis Guzman** (1887-1976) هذا الثائر الذي كان من أنصار الثورة قبل اندلاعها، ثم

[1]- بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية، ص 81.

[*] - ترجمت كذلك بعنوان أهل القاع.

[2]- انظر موقع ويكيبيديا www.wikipidia.org، بتاريخ 20-07-2014، الساعة 14:12 .

انظم إلى قوات **بانشو فيلا** وأصبح سكريتيره، من أهم رواياته العُقاب والحية التي ظهرت عام 1928، والتي استمد عنوانها من شعار المكسيك المرسوم على رايتها والوطنية، هذه الرواية استطاع فيها الكاتب التقاط أدق التفاصيل المهمة في الثورة حتى يخيل للقارئ أنه يعيش أحداثها وتفاصيلها: كأماكن المعارك والخطوط الأمامية، ورحلات القطار والجنود المتعبين، ومشهد هروب **بانشو فيلا** من السجن...وبهذا تكون هذه الرواية واقعية بحق وكانت فيها نظرة الكاتب « ميكروسكوبية، مع أن هذه النظرة أقلقته كثيرا جدا من أجل إضفاء التفاصيل التي عبر عنها من خلال الجملة والنص، هذه النظرة التي اقتضت خفة الحركة والرؤية الحالمة للثورة »[1]. ويرى **محمود صبح** * أن رؤية روائيي هذه الفترة « كانت رومانتيكية وإن بدت ذات سمات واقعية طبيعية غير أن هؤلاء الرواد هيّأوا التربة الصالحة لمن تلاهم من روائيين»[2].

إذا كانت روايات الثورة المكسيكية قد مهدت للواقعية كما رأينا، فإن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تعد بحق مرحلة « ازدهار الواقعية في ظل تطور اللغة والأساليب وتراجع الأشكال التقليدية التي رافقت الثورة »[3]، وقبل الخوض في هذه المرحلة، لابد وأن نشير إلى أن الرواية في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين كانت قليلة يمكن عدها على الأصابع[4]، وفي سنة 1946 ظهرت رواية السيد الرئيس للغواتيمالي **ميغيل أنخل أستورياس Miguel Angel Asturias**(1899-1974) الحائز على جائزة نوبل للآداب عام 1967 لتكون بداية لموضوع شغل حيزا هاما في فسيفساء الرواية الأمريكية اللاتينية في القرن العشرين، وتعالج هذه الرواية طبيعة الدكتاتور، وتأثيره على المجتمع وأساليبه القمعية في ردع خصومه، وتدبير الدسائس لمن يشك في ولائهم مع تطويق البلاد بالمخبرين ورجال الأمن السريين، وفيها يفضح الكاتب طبيعة الدكتاتور الدموية التي لا تبالي بأرواح الناس، وتقتل

---

[1]- بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية، ص84.

* - محمود صبح أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة مدريد المركزية، ولد بمدينة صفد الفلسطينية سنة 1936، نال عدة جوائز في الشعر أهمها جائزة الملك خوان كارلوس في الشعر الإسباني، للمزيد أنظر موقع اللجنة الأهلية لمدينة صفد www. safadinfo.com. بتاريخ: 2014/07/30، الساعة: 22:35.

[2]- محمود صبح، (ثقافة أمريكا اللاتينية)،ص93.

[3]- بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية، ص 84.

[4]- محمود صبح، (ثقافة أمريكا اللاتينية)،ص93.

بكل برودة أعصاب ؛ ففي مشهد من مشاهد الرواية يروي الكاتب حادثة سكريتير الرئيس الذي تصرف برعونة، ولم يحسن تجفيف توقيع الرئيس على إحدى الوثائق، فسكب دَوَاةَ الحِبر على الورقة بحضرة الرئيس الذي اشتد غيضا، فأمر بجلده مائتي جلدة فورا، ولم يستطع المسكين تحمل العقوبة، فمات، ولمّا أُخبر الرئيس، وكان يتناول طعام الغداء، قال: «حسن جدا»[1]، وأكمل وجبته بكل هدوء، وحينما خاطبته خادمة المطبخ، وهي لا تصدق هول خبر وفاة السكريتير، أجابها: «وماذا في الأمر؟! أحضري الطبق الثاني»[2]، هذه واحدة من الوقائع والحوادث الكثيرة التي جسد فيها المؤلف قسوة الرئيس وهمجيته مع من كانوا في خدمته، فما بالك بمن كانوا أعداءه؟ .

ستتوالى روايات الدكتاتور بعد ذلك في ستينات القرن الماضي مع فترة رواج وازدهار روايات أمريكا اللاتينية التي يطلق عليها اصطلاحا البوم الأمريكي اللاتيني* Le boom Latino–Americain ونجاح الثورة الكوبية واندحار دكتاتورية **باتيستا** المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، فقد صدرت رواية موت أرتيمو كروز1962 للمكسيكي **كارلوس فوينتس Carlos Fuentes** (1928– 2012) التي يرسم فيها واقع المكسيك بعد ثورة 1910، ويمثل بطل الرواية أحد الرجال الجدد الأكثر قوة وسلطة في المكسيك، كما «يصور **فوينتس** حالة التضخم المرضي عند **أرتيمو كروز**... والسرعة في زيادة ثروته التي تطعّمت بالرأسمال الأمريكي متنعّما بكل نتائج الانتصارات والبقاء على قيد الحياة بعد وفاة الآخرين»[3]. إن هؤلاء الدكتاتوريين متشابهون كلهم؛ فهم يستغلون تدهور الأوضاع السياسية وحالة الفوضى بعد الثورات التي تقوم بها الشعوب ليستولوا على الحكم ثم يتحالفوا مع قوى الطغيان لتثبيت أركان حكمهم، ومن ثمة يمارسون هواياتهم في سحق الآخرين . لقد استطاع الكاتب أن يصور من خلال الشخصية الرئيسية في الرواية فئة من الناس«الثوريين الذين

---

[1]– ميغيل أنخل أستورياس، السيد الرئيس، ترجمة ماهر البطوطي، الطبعة 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص40.

[2]– المصدر نفسه، ص 40.

* – البوم الأمريكي اللاتيني مصطلح نقدي أطلق على الانفجار الهائل الذي عرفه الأدب الأمريكي اللاتيني في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين وخاصة في مجال الرواية ما جعلها تبلغ العالمية، أنظر موقع ويكيبيديا www.Ar.wikipidia.org بتاريخ: 2014/07/25، الساعة 31:18.

[3]– بدر عبد الملك، ملامح من أدب أمريكا اللاتينية، ص 102.

خانوا مبادئهم بمجرد أن أتيحت لهم فرصة تولي السلطة فاستبدوا بالآخرين، وانساقوا لأهوائهم وأنانيتهم، فأباحوا لأنفسهم جميع الوسائل من أجل البقاء»[1].

كانت شخصية الدكتاتور هي الشخصية الأكثر حضورا في أمريكا اللاتينية، وهي التي تحرك واقع الناس المأساوي، وتؤثر فيه بأفعالها اللإنسانية، ولذلك «يظل أي حديث عن الواقع في هذه القارة ناقصا بدون شخصية الدكتاتور الموجود في كل مكان» [2]، ولما كان هذا هو حال أمريكا اللاتينية سياسيا واجتماعيا، فإن الكتابة حول شخصية الدكتاتور كانت من أهم الموضوعات الملحة ؛ فقد راودت الروائي **كارلوس فوينتس** سنة 1968 فكرة «كتابة كتاب جماعي يطلق عليه أباء الوطن، يكتب فيه كل روائي فصلا عن دكتاتور بلده، وفي ذلك الحين كان مقدرا أن يكتب **فوينتس** عن **سانتا أنا**، ويكتب **كاربنتيير** عن **ماتشادو**، ويكتب **ميغيل أونيرو سيلفا** عن **خوان بيثنتي غوميز**، ويكتب **روا باستوس** عن الدكتاتور **فرانسيا**، وهلم جر»[3] وتجسيدا لهذه الفكرة انبثقت العديد من الروايات التي تناولت الدكتاتوريين، وفضحت رغباتهم الجامحة في البقاء على كرسي السلطة، مكرسين بذلك عبادة الشخصية مسممين أجواء تلك الربوع التي تمتلك كل مقومات الرقي والازدهار، ومن أشهر هذه الروايات: أسباب الدولة 1974 **لأليخو كاربونتيي Alejo Carpontier** (1904-1984) من كوبا، أَنَا الأعلى 1974 **لأغوستو روا باستوس Agusto Roa Bastos** (1917-2005) من الباراغواي، وذيل الحرباء 1983 للأرجنتينية **لويزا فالينزويلا Luiza Valenzuela** المولودة سنة(1938)، ورواية بايرون 1985 للأرجنتيني **توماس إلوي مارتينيز Tomas Eloy Martinez** (1934-2010)، وصولا إلى رائعة **ماريو فارغاس يوسا Mario Vargas liosa** المولود سنة(1936) من البيرو بعنوان حفلة التيس 2000، التي تناولت الأيام الأخيرة من حياة الدكتاتور **تروخيو** الذي حكم جمهورية الدومينيكان بالحديد والنار، والذي يلقى حتفه على أيدي جماعة من الذين نكّل بهم في سجونه. كانت هذه ثلة من النماذج الروائية التي أضاءت الكثير من جوانب شخصية

[1]- المرجع السابق، ص102.

[2]- حامد أبو أحمد، (الدكتاتور في سأم مملكته، قراءة في رواية خريف البطريرك)، مجلة فصول في النقد الأدبي، المجلد 11، العدد 02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، صيف 1992، ص140.

[3]- المرجع نفسه، ص 142.

الدكتاتور الخفية المظلمة، وأبطلت الكثير من الأوهام المتعلقة بشخصه، وبذلك استطاعت هذه الروايات– إلى حد ما– تحرير الناس من عبادة الشخصية إلى الإيمان بأن الحاكم ما هو إلا بشر يخطئ ويصيب، وما اعتلى هرم السلطة إلا ليكون في خدمة الناس، كما كانت تهدف إلى تحذير الشعوب من مخاطر التسلط الفردي.

الفصل الثاني

الرواية ورفض الدكتاتورية

1. رواية(السيد الرئيس) ميغيل أنخل أستورباس

1-1- نبذة موجزة عن حياة المؤلف

1-2- ملخص الرواية

1-3- موضوعات الرواية

2. رواية (خريف البطريرك) غابرييل غارسيا ماركيز

2-1- المؤلف في سطور .

2-2- ملخص الرواية .

2-3- واقع الدكتاتور.

1. رواية(السيد الرئيس) ميغيل أنخل أستورباس

1 .1 – نبذة موجزة عن المؤلف:

ميغيل أنخيل أستورياس كاتب وشاعر ودبلوماسي غواتيمالي، ولد في مدينة غواتيمالا العاصمة سنة 1899، عاش طفولة قاسية في ظل دكتاتورية **إسترادا كابريرا Estrada cabrera** الذي حكم البلاد مابين 1898و 1920، شارك في نضال الطلاب عندما كان طالبا في جامعة سان كارلوس بغواتيمالا والتي حصل منها على شهادة في الحقوق، رحل إلى باريس عام 1923 ليتم دراسته في القانون الدولي لكنه فضل دراسة علم السلالات في السربون، وهناك تعرف على النصوص التقليدية القديمة لأدب الهنود الحمر أسلافه وخاصة شعوب المايا، وسرعان ما ترجم كتاب البوبول فوه Popol voh الكتاب المقدس لشعوب المايا، ثم دوّن العديد من الأساطير الهندية التي سمعها عن أمه في كتاب أساطير غواتيمالية الذي صدر بالإسبانية عام1930، عاد **أستورياس** إلى بلاده ليبدأ مرحلة مهمة من النشاط الشعري والدبلوماسي الذي استمر حتى عام 1946 عندما ظهرت روايته السيد الرئيس، وهي رواية ترسم صورة قاتمة عن الدكتاتورية في أمريكا اللاتينية مما عرض الكاتب للملاحقة ثم الاعتقال في الأرجنتين، ولم تنشر الرواية إلا عام 1952 بعد وفاة **كابريرا**، وبعدها نشر الكاتب رواية رجال من ذرة التي يعود فيها إلى عالم الأساطير المستمدة من التراث الهندي والتي يمتزج فيها الحلم بالحقيقة، ويرتدي فيها الالتزام ثوب الشعرية المتدفقة.

تابع **أستورياس** الكتابة في المنحى نفسه، وأوصل الالتزام إلى حدوده القصوى حين تحدث عن استغلال جهد العمال في مزارع الموز في ثلاثيته عن شركة الموز(العاصفة 1950، البابا الأخضر 1954، عيون المدفونين1960)، كما أصدر مجموعة قصصية بعنوان عطلة نهاية الأسبوع في غواتيملا 1960، وهي عن وقائع اجتياح قوات المارينز الأمريكية لغواتيملا 1954 الذي أدى إلى سقوط حكومة **جاكوبو أربينيز Jacobo Arpenez** الوطنية التي كان الكاتب واحدا من أنصارها مما أدى إلى نفيه إلى الأرجنتين .

لم يكن **أستورياس** أديبا فقط بل كان مناضلا سياسيا نشيطا ؛ فقد قام إبان المنفى في الأرجنتين بجولات كثيرة في أمريكا اللاتينية والهند والصين والاتحاد السوفياتي السابق، وقد أدى تأييده لثورة كوبا إلى نفيه من الأرجنتين سنة 1962 فتوجه إلى فرنسا واستقبل بحفاوة

بالغة كما زار موسكو فكرم بجائزة لينين للسلام 1966، كما نال جائزة نوبل للآداب عام 1967نظير عمله الروائي السيد الرئيس، توفي **أستورياس** في مدريد، ودفن في باريس سنة 1974.

1 .2- ملخص الرواية :

كان **ميغيل أنخيل أستورياس** حجر الأساس في البوم الأمريكي اللاتيني الذي عرف العالم بأدب أمريكا اللاتينية والذي ارتبط بالواقعية السحرية[1] وتعتبر السيد الرئيس واحدة من أشهر الأعمال الروائية التي تناولت الواقع الاجتماعي والسياسي في أمريكا اللاتينية المتألمة من سطوة الدكتاتورية، وفي غواتيمالا بالذات التي حكم فيها الدكتاتور **إسترادا كابريرا** البلاد بالحديد والنار، في هذه الرواية لا تدور الأحداث حول شخصية الدكتاتور وإنما حول محيطه المرتبط به والمتأثر بسياساته الجائرة، فالكل يدور في فلك السيد الرئيس.

تدور أحداث الرواية حول جريمة قتل اقترفها متسول معتوه يسمى الأبله دون وعي منه بسبب استهتار أحد أكبر مساعدي السيد الرئيس به، إنه الكولونيل خوسيه باراليس، تبدأ التحقيقات في الحادثة، ويستدعى الشهود الذين سيشهدون بالحقيقة، لكن السيد الرئيس قرر أن يستغل الحادثة للتخلص من أحد جنرالاته الذي يشك في ولائه له – إنه الجنرال إيزيبيو كاناليس– فيأمر بتلفيق التهمة له، وإجبار الشهود – تحت التعذيب – على تغيير شهاداتهم الأولى لتوريط الجنرال، كما يقتل الأبله لطمس الحقيقة، وبذلك يسعى الرئيس إلى القضاء على خصمه بطريقة فيها الكثير من المكر والخداع، فيعلمه بواسطة أحد أهم معاونيه الذي يسمى ميغيل ذو الوجه الملائكي بأنه مطلوب للعدالة في جريمة القتل السابقة الذكر وأن عليه الفرار، وأرسل إليه فرقة للقبض عليه أو اغتياله، لكن الجنرال كاناليس تدبر أمره واستطاع الفرار قبل أن يتحقق ما خطط له السيد الرئيس، وهنا يتوجه الانتقام إلى محيطه المتمثل في ابنته الوحيدة كاميلة التي سيتعلق بها ذو الوجه الملائكي مستشار الرئيس

[1]– الواقعية السحرية le realisme Magique مصطلح ظهر في ألمانيا منذ مطلع خمسينات القرن الماضي ثم في أمريكا اللاتينية بعد ذلك، وتقوم هذه الواقعية على أساس المزج بين عناصر متقابلة في سياق العمل الأدبي فتختلط الأوهام والتصورات الغريبة بسياق السرد الذي يظل محتفظا بنبرة حيادية موضوعية كتلك التي تميز التقرير الواقعي، وتوظف الواقعية السحرية عناصر فنتازية مستمدة من الخرافات والحكايات الشعبية والأساطير وعالم الأحلام والكوابيس... للمزيد أنظر: حامد أبو أحمد، في الواقعية السحرية، الطبعة 1، سندباد للنشر، القاهرة، مصر، 2002 .

ومعاونه بعد أن اختطفها غنيمة ليلة اقتحام بيت أبيها، تم يتزوجها لاحقا بعد أن أغرم بها، ذلك ما لا يروق السيد الرئيس، فيدبر مكيدة للتخلص من الاثنين بطريقة مدمرة ودراماتيكية، فيوهمه بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في مهمة رسمية لاستطلاع وجهة نظر واشنطن فيما يتعلق بإعادة انتخابه رئيسا للبلاد، لكنه بالمقابل يأمر رجاله بأن يعتقلوه في الميناء ويضعوه في السجن، وذلك ما حصل بالفعل، وحتى يمعن السيد الرئيس في تدمير من كان أحد رجاله المخلصين أرسل إليه وهو في السجن من يخبره بأن زوجته التي أحبها وتحمّل من أجلها كل المحن أصبحت عشيقة السيد الرئيس، فقضى الرجل نحبه هما وكمدا، أما زوجته وبعد أن استنفدت جميع المساعي والمحاولات لمعرفة مصير زوجها بعد انقطاع أخباره منذ رحل إلى الميناء في تلك المهمة المشؤومة، فإنها لجأت إلى الريف بعد أن رزقت بمولود سمته باسم والده ميغيل، وسيصبح هذا الولد مزارعا عندما يكبر، وبذلك يبتعد عن جو المدينة المسموم الذي كان سببا في كل المآسي التي لحقت بأمه وأبيه.

هذا هو مسار الأحداث الرئيسي، والذي تفرعت عنه أحداث كثيرة أخرى تصب كلها في وصف القمع والوحشية التي ميزت حكم الدكتاتور المسمى السيد الرئيس وفضح أساليبه الجهنمية في الانتقام من خصومه والتضحية برجاله المخلصين حفاظا على سلطته وتمكينا لنفسه في الحكم، وسنعمل هنا على رصد المظاهر والأحداث التي تعري مساوئ الحكم الدكتاتوري، وتفضح آلياته القمعية ومؤامراته وسلوكاته الشاذة التي كان الأدب الروائي مرآة عاكسة لحقيقة الوضع المأساوي الذي عاشته شعوب أمريكا اللاتينية تحت وطأة الدكتاتورية.

1. 3 – موضوعات الرواية:

أ- الواقع الاجتماعي:

يرصد الكاتب من خلال هذه الرواية حال المجتمع في غواتيمالا رغم أنه لا يذكر البلد الذي تدور فيه أحداث الرواية ولا اسم هذا الدكتاتور الذي لقبه بالسيد الرئيس، وإنما يركز كثيرا على رسم صور المعاناة التي يكابدها عامة أفراد الشعب.

أ.1- عامة الشعب بين قسوة الحياة وجشع السلطة:

يقوم النظام الدكتاتوري على إفقار عامة الشعب والتحكم الكامل في مصادر الرزق، وبذلك« ينشغل عامة رعاياه بالبحث عن قوت يومهم، فلا يجدون من الوقت ما يتمكنون فيه

من التآمر عليه»[1]، ولأن أفراد الشعب يحرصون كل الحرص على ضمان ما يسدون به رمقهم ورمق أولادهم، تتفسخ عندهم جميع القيم، وتفقد معانيها في هذا الخضم ؛ ففي حادثة فرار الأبله يصف الكاتب التناقضات الطبقية في المجتمع الذي تعيش فيه فئة كبيرة من الناس معاناة مأساوية « كان البعض منهم يفتقر إلى أشد مطالب الحياة الأساسية، ويضطر إلى اللجوء إلى الأعمال الشاقة كي يكسب قوت عيشه »[2]. وفي المقابل صورة أخرى لفئة قليلة تحيا في بحبوحة من العيش « بينما البعض الآخر يحصل على ما يفيض عن حاجته عن طريق موارد الكسل المحظوظ »[3] هذه الوضعية جعلت الفئة الأولى تعيش حياة أقرب إلى حياة البهائم « أكواخ تفوح منها رائحة القش، وأعشاش خشبية تفوح منها رائحة الهنود، بيوت ضخمة ذات فناء أمامي نتنة الرائحة كالإسطبلات»[4] هذه الحياة البهيمية عمل الرئيس وأعوانه ورجال الدين على تبريرها دينيا، فكان ذلك قدرا من الله، وبذلك استسلم الناس لمصيرهم « في تلك الساعة من الليل كانت الأحياء الفقيرة بالمدينة تعطي انطباعا بالعزلة المطلقة، والفاقة الجهماء، ومظاهر الإهمال، وتظلل كل هذا قدرية دينية تترك كل شيء لإرادة الله »[5]، إنه استلاب الإرادة الإنسانية في التغيير والتطلع إلى الأفضل.

من ملامح هذه المعاناة أن عامة الناس غير مقيدين في السجلات المدنية بل لا يعرفون حتى تواريخ ميلادهم، ففي مشهد استنطاق الرجل المخبر الذي قتل الأبله في ساحة الكاتدرائية والذي سأله المحقق عن عمره، فأجاب: «ليس لي سن، لا أعرف كم سني، ولكن أكتب خمسا وثلاثين إذا كان لا بد وأن يكون لي سن» [6] إنه نوع من السخرية المُرة، علما أن هذا المتهم من مواليد العاصمة، وهو يعمل في سلك الأمن، لكنه لا يمثل شيئا في عالم الرئيس، فغيره كثيرون ممن يصلحون لهذا العمل. هذا الوضع الاجتماعي البائس نتج عنه كثير من البائسين والشحاذين والمعتوهين الذين يجتمعون في ساحة الكاتدرائية، وكأنها

[1]– إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، سلسلة كتب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 183، الكويت، 1994، ص 122 .

[2]– ميغيل أنخيل أستورياس، السيد الرئيس، ص 20.

[3]– المصدر نفسه، ص 20 .

[4]– المصدر نفسه، ص31.

[5]– المصدر نفسه، ص64.

[6]– المصدر نفسه، ص160.

ملاذهم بالقرب من الرب الذي تخلى عنهم وهم في رواقه «كان الليل يجمع بينهم ... فيتلاقون ليناموا معا في رواق الرب القريب من الكاتدرائية من غير ثمة رابط بينهم سوى الشقاء»[1] هذه الصورة التي تفنن الكاتب في رسمها تلخص حالة الضياع والشقاء الذي تعيشه عامة الشعب والذين حولتهم المعاناة إلى أعداء متخاصمين لا يرحم أحد غيره، عنيفين فيما بينهم، ماديين حتى أنه «لم يعرف عن أحد أنه أغاث رفيقا له في محنة واجهها، يعطيهم البخل فيما لديهم من فتات، وهم في ذلك مثل غيرهم من الشحاذين، يفضلون إلقاءه إلى الكلاب على أن يقدموه إلى أحد الرفاق ممن يشاطرهم الشقاء»[2]. هذا النمط من الحياة هو الذي جعلهم يبتزون بعضهم بلا شفقة ولا رحمة كحال ذلك الطبيب الذي لم يرحم فتيات وحيدات تحايل عليهن أثناء مرض أمهن مما أثار غضب الجنرال الفار كاناليس الذي انتقم منه وقضى عليه[3]، كما راج القمار وأصبح من وسائل الكسب الأكثر رواجا، وانحطت قيمة العمل والكسب المشروع « ما فائدة العمل إذا كان يمكن الحصول على كل هذا عن طريق الياناصيب؟ إن الحياة ياناصيب يا صديقي»[4]، وانتشرت بيوت الدعارة التي تبيع المتعة، وتمتهن فيها كرامة الإنسان، يقصدها جميع صنوف الناس الفقراء، الموظفون الحكوميون، العسكريون، المحامون، ورجال الأعمال ... نلمس صورة هذا المجتمع الذي يبعث على الشفقة أحيانا وعلى القرف أحيانا أخرى في الفصل المعنون في الرواية بيبت الدعارة من الصفحة 174 إلى 190.

هذه الصورة القاتمة للحياة في هذا الوطن جعلت الفتيات الثلاث اللائي ابتزهن الطبيب الجشع يخلصن إلى أن العيش خارج هذا الوطن الذي صار كالسجن الكبير هو سبيل الخلاص « يا لقسوة الحياة يا جنرال، إنك سعيد الحظ إذ تغادر هذا البلد نهائيا» [5].

ولا يفوت **أستورياس** الفرصة كي يندد بالمعاملة القاسية التي يعامل بها الهنود الحمر في موطنهم الأصلي، وهم أولئك الناس الطيبون الذين سلبهم الإسبان أرضهم مع بداية الغزو

[1]– المصدر السابق ، ص7.

[2]– المصدر نفسه ، ص 8.

[3]– المصدر نفسه، ص 223، 224، 225.

[4]– المصدر نفسه، 118.

[5]– المصدر نفسه، ص 223.

الإسباني، ثم استعبدوا أثناء فترة الاحتلال ذاته، وعندما استبشروا خيرا حين تحررت البلاد من الغزاة خاب أملهم لأن الذين تولوا دواليب الحكم لم يغيروا من الوضع شيئا، فترك الهنود لأحقر الأعمال بل أصبحوا فئران تجارب في مستشفيات السيد الرئيس «أما الأطباء فبوسعهم أن يتمرنوا في المستشفى على الهنود» [1]، وكيف لا يفعلون بهم ذلك وهؤلاء الهنود يصلحون لكل شيء، أليسوا حمالين لأغراض الناس؟ « ومجموعة من الرزم والسلال حملها عدد من الهنود إلى الفندق »[2]، ألا يصلحون لكنس الطرقات؟ « وكانت جماعات من الهنود الذين يكنسون الطرقات الرئيسية خلال الليل عائدين إلى بيوتهم... وجوه نحاسية، أقدام عارية...»[3].

يبدو أن طمع المسؤولين الحكوميين امتد إلى سلب هؤلاء الهنود النزر القليل مما يملكون، وهو ما حدث مع ذلك الهندي الهارب من العدالة المتهم بسرقة أكواز من الذرة حتى يقتات، والذي التقى الجنرال كاناليس عندما كان فارا، حيث يخبره بأنه كلف بنقل بعض الأخشاب على بغاله للاحتفال بعيد ميلاد السيد الرئيس، ولما رأى المندوب السياسي تلك البغال القوية طمع فيها، فأخذها منه عنوة بلا مقابل واقتسمها مع العمدة، ثم وضعه في السجن، ولم يكتف بذلك بل جر أولاده إلى السجن كذلك رهائن حتى يدفع والدهم ثلاثة آلاف بيزو، ولما ذهب إلى المدينة ليرهن أرضه ويحرر أولاده، احتال عليه أحد الأجانب بالتواطؤ مع أحد المحامين، فأضحى الرجل بلا أرض، وأرسل أولاده إلى الخدمة العسكرية، فمات أحدهم، وجرح الآخر جراحا بليغة، وماتت أمهم بالملاريا، فاتجه إلى السرقة رغم أنه ليس لصا[4]. بسبب هذه الممارسات التعسفية أصبح الهنود خائفين دائما من العقاب، يرد ذلك على لسان صاحبة الحانة، وهي تتحدى لوسيو فاسكيز المخبر الذي راح يهددها باستدعاء الشرطة، حيث راحت تقول: «إنني لا أخاف أحدا، كما أنني لست من الهنود، أتسمعني؟»[5].

---

[1]– المصدر السابق، ص37.

[2]– المصدر نفسه، ص 92.

[3]– المصدر نفسه، ص 150.

[4]– المصدر نفسه، ص 217 و218.

[5]– المصدر نفسه، ص 46.

ولا يتوقف الحال عند هذا الحد، فهم لا يعتبرون بشرا في نظر علية القوم، كما جاء على لسان كاميلة وهي تحتضر أمام القس، تقول: [1] « وأعترف يا أبتي أنني ركبت الجياد كالرجال»، فيسألها القس: «أكان ذلك أمام الناس ؟ وهل سبب ذلك فضيحة ؟»، فتجيب: «كلا، لم يكن هناك سوى بعض الهنود».

أ.2- حاشية الرئيس ورجاله: بين عبادة الشخصية واستغلال النفوذ:

هذه حال عامة الشعب، فكيف ستكون حال حاشية الرئيس ووجهاء القوم وأركان النظام؟ إنهم أناس بلا قلوب، لا رحمة ولا شفقة، لا أخلاق ولا ذمة، همهم الوحيد إرضاء أسيادهم ومن ثم إرضاء الرئيس؛ فالكولونيل باراليس سونرينتي الذي قتله الأبله لم يكن إلا قاتلا بلا شفقة ولا رحمة، فقد قتل شيخا مسالما أعزلا لمجرد رسالة بلا توقيع، هذا الكولونيل الذي اغتاظ السيد الرئيس كثيرا لمقتله كان عاقب أهل القرية التي انحدر منها الرئيس وكاد يبيدهم لولا تدخل أم الرئيس، لأنهم كانوا يعاملون السيد الرئيس في صباه معاملة قاسية، وهم بإمكانهم تلفيق أي تهمة لأي شخص قد يقف في طريقهم ويهدد مصالحهم، وذلك ما كان يفكر فيه ميغيل ذو الوجه الملائكي بحق جارين للجنرال كاناليس شهدا عملية اختطاف ابنة الجنرال عندما وقعت عملية اقتحام بيته ليلة هربه: «سوف أجعلهما عضوين في منظمة الشبيبة الحرة، لقد هددتهما مرارا بذلك» [2]، أما زوجة خينارو رودس المخبر السري التي همت بأن تخبر الجنرال كاناليس بخطة القبض عليه حيا هو وابنته كاميلة – بعد أن علمت ذلك من زوجها الثمل– فإنها لقيت من صنوف العذاب ما لا يتصوره عقل بشر ؛ لقد سجنوها، ومنعوها من إرضاع وليدها وهو يصرخ جوعا بالقرب منها، ولما كاد الرضيع يموت ناولوها مادة الجير ومكنوها من الولد كي ترضعه، لكنه لم يستسغ طعم الحليب بالجير فمات جوعا بين ذراعيها، كل ذلك حتى ينتزعوا منها اعترافا بأمر لا تعلمه، لأنها ما كادت تصل إلى بيت الجنرال حتى تمت المداهمة وفر الجنرال، وألقي عليها القبض بجانب البيت فاتهمت بضلوعها في فرار الجنرال ومعرفة مكان تواجده.

[1]– المصدر السابق ، ص 198.

[2]– المصدر نفسه ، ص 166.

وحتى أعمام كاميلة فقد تنكروا لها عندما كان ذو الوجه الملائكي يبحث لها عن مأوى خوفا عليها من انتقام الرئيس وزبانيته، لا بل راحوا يتنكرون لأخيهم، ويتهمونه بشتى التهم المسيئة خوفا من بطش السيد الرئيس وتزلفا له، نقف على ذلك في الحوار الذي دار بين ذي الوجه الملائكي وعم الفتاة السيد خوان[1]، إنه الخوف والطمع عندما يتحكمان في النفوس البشرية يجعلانها تلجأ إلى كل شيء طلبا للسلامة والنجاة.

أما جنود السيد الرئيس ومخبروه وبقية أركان حكمه فحدث ولا حرج، إنهم الشياطين في أثواب البشر أعمى الطمع والشر نفوسهم فراحوا يتصرفون كالبهائم، يسرقون، يشربون الخمر حتى الثمالة يلعبون القمار، يرتادون بيوت الدعارة، يكيدون لبعضهم، يتعاطون الرشوة ويستهترون بحياة الناس، فوجود تجار أتراك أجانب في ساحة الكاتدرائية التي اغتيل فيها السفاح باراليس جعل أعضاء البلدية يرغمونهم على طلاء الساحة كلها مما أدى إلى إفلاسهم[2]، وعندما اقتحم رجال الشرطة السرية بيت الجنرال الهارب للقبض عليه عاثوا في البيت نهبا وفسادا، ولما أراد فاسكيز المخبر أن يتوسط لأحد أصدقائه خينارو روداس كي يعمل في سلك الشرطة السرية، وجد أن مساعد المدير قد عين أحد أقاربه في المنصب، وأما المدعي العام العسكري فإنه مرتش وفاسد ومنافق إلى أبعد الحدود، يبيع السجينة فيدينا دي روداس لصاحبة بيت دعارة مقابل عشرة آلاف بيزو عوضا عن كاميلا التي كان يخطط لاختطافها ليلة الاقتحام وبيعها لها، كما كان يبيع أوراقا رسمية مختومة على بياض لمن يشاء بمساعدة خادمته، ويحذرها من انكشاف أمرها :« ولكن حاذري أن يعرف أحد ذلك، إن الناس أشرار»، فتجيبه: « إني لست بلهاء، هناك مالا يقل عن أربعمائة ورقة مضروبة في خمسة وعشرين مليما، ومائتين أخريين في خمسين مليما ...» [3]ومع ذلك يدعي الإيمان، ويواظب على حضور القداسات الدينية، وقد وصفه الكاتب وصفا ساخرا ومقززا في الآن ذاته: « لم يكن سهلا تبين ما إذا كان هذا الحقوقي بعد أن خلع بنيقة قميصه المنشأة رجلا أم امرأة، إذ هو يجلس وسط أوراقه الرسمية وكتب القانون المتسخة، صامتا قبيحا، قصير

[1]– المصدر السابق ، ص 121.

[2]– المصدر نفسه ، ص 51.

[3]– المصدر نفسه، ص 153.

النظر، شرها، مثله مثل شجرة قوامها الأوراق الرسمية المختومة، شجرة تستمد غذاءها من جميع الطبقات الاجتماعية انتهاء بأدناها وأشدها فقرا»[1].

كانت هذه عينات قليلة من تصرفات حاشية الرئيس وأعوانه ورجال حكمه من أعلاهم رتبة إلى أدناهم، كلهم خسة ودناءة وقسوة قل نظيرها بسبب الجو العام الذي تعيشه البلاد القابعة تحت حكم الدكتاتور « فهو لا يصادق إلا رفاق السوء، ولذا لا ينبغي أن نندهش عندما نجد أحد أعوان الطاغية يمارسون مجموعة من الجرائم كالسرقة أو السلب أو اغتصاب أموال المارة وملابسهم وبيع الأحرار على أنهم عبيد»[2].

ب – المشهد الدكتاتوري للسيد الرئيس:

جعل **ميغيل أنخل أستورياس** السيد الرئيس الدكتاتور الحاضر الغائب في هذه الرواية « فهو موجود في حياة الناس والبلد في أفكارهم وعلى ألسنتهم، وفي حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم »[3]، فهو الذي تسبب في تسميم الحياة ونشر الرذيلة وإبادة كل أمل على صخرة جبروته وأنانيته، ولذلك يكلف الكولونيل باراليس سورينتي بالانتقام من قريته التي أذلته وأساءت معاملته لما كان فقيرا وضيعا، ويدفع برجاله وشرطته لإرهاب الناس وكتم أنفاسهم، وتلفيق التهم لمن يشك في معارضتهم له، وحتى هؤلاء الموالون المخلصون لا يثق فيهم، فهو يغري الناس بالوشاية بهم، ويغريهم هم للوشاية ببعضعهم، وبذلك يصبح كل الناس تحت رقابته، «وهكذا فإن الطاغية يبذر الشقاق والنميمة ويثير حقد الشعب على الطبقات العليا التي يجتهد في أن يفرق بينها»[4] وبذلك يستبد الدكتاتور برأيه، فيقمع المعارضة والرأي الآخر، ويكيل التهم وأهمها التخابر مع العدو، وتهديد سلامة الوطن والمواطن، فتتعاظم صورته عند الجماهير والغوغاء، وشيئا فشيئا يشعرهم بعظمته، وبأنهم لا يقدرون على العيش بدونه، وبذلك يحكم البلاد حكما فرديا استبداديا بلا دستور ولا قانون، يصدر الأوامر حسب هواه ومزاجه ونزواته، « وبذلك يقترب من التأله، فهو يرهب الناس بالتعاظم والتعالي ويذلهم

[1]– المصدر السابق، ص 152.

[2]– إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، ص 96.

[3]– إبراهيم العريس، (الجنرال في متاهة الرواية)، مجلة الدوحة، العدد 47، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، سبتمبر 2011، ص 109.

[4]– إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، ص 121.

بالقهر والقسوة وسلب المال حتى لا يجدوا ملجأ إلا التزلف له وتملقه» [1]، وحين يشعر الدكتاتور بأن البلاد قد دانت له يشرع في تلبية شهواته ونزواته، فنجده يمارس الفساد المالي والإداري إلى أبعد حدوده، ويتخذ الخليلات من النساء أشكالا وأصنافا ويغدق عليهن، ويفرط في السكر حتى يغيب عقله .

هذا هو حال دكتاتور **أستورياس** السيد الرئيس فهو من عائلة وضيعة –كما لاحظنا سابقا– وعندما وصل إلى الحكم سلط رجاله على المعارضين والمشكوك في ولائهم فقتل من قتل وسجن من سجن، وشرد من نُفِيَّ أو فر من البلاد، وذلك ما حصل مع الجنرال كناليس والطبيب قابيل كرفخال اللذيْن اتهما زورا بقتل الكولونيل براليس ومعارضة الرئيس، ومساعد القس والطالب، والدكتور الجراح لويس بارينو الذي سجن بسبب اكتشافه لقضية فساد في المستشفى العسكري كان الرئيس وراءها، وعندما استقبله السيد الرئيس للتحقق من القضية خاطبه قائلا: « أرجو أن تدرك هذا جيدا يا سيد لويس، إنني لن أقبل أن تعمل شائعات يطلقها الدجالون من الأطباء على الحط من قدر حكومتي حتى في أقل القليل، وينبغي لأعدائي أن يضعوا هذا في اعتبارهم دائما، وسوف أقطع رقبة أول شخص ينسى ذلك»[2]، وفيما يتعلق بمساعد القس فإنه سجن لأنه عوض أن يزيل إعلانا يتعلق بالسيدة العذراء من على باب الكنيسة أزال إعلانا يتعلق بالاحتفال بمولد السيد الرئيس، علما أنه أميٌ لا يعرف القراءة والكتابة، أما الطالب فإنه متهم بممارسة السياسة دون الإشارة إلى حيثيات قضيته، فالتهم تُكال جزافا عندما يتعلق الأمر بسيادة الرئيس، وشعار الرئيس في ذلك: « إن المرء لا يمكنه الاحتفاظ بمنصب مثل منصبي إلا إذا أطاع الجميع أوامري»[3]، قال ذلك حين كان يخاطب خادمته التي أحس منها بشيء من التعاطف مع زوجة المحامي قابيل كرفخال الذي أعدم ودفن دون أن تسلم جثته لأهله في محاكمة عسكرية سرية شكلية .

تزداد بهذه الوحشية عظمة السيد الرئيس، فتنهال الخطب العصماء على الشعب ممجدة الرئيس مباركة ترشحه لولاية أخرى يتلوها أناس من المنتفعين من حكمه، وبتكليف منه أو من أقرب رجاله، فيصيح الناس في الأماكن العامة مبتهجين هاتفين بحياته في مهرجان

[1]– المرجع السابق، ص 44.

[2]– ميغيل أنخل أستورياس، السيد الرئيس، ص 34.

[3]– المصدر نفسه، ص 285.

بائس بؤس أيامهم التعيسة، هذه الهالة من التعظيم تعطي الرئيس شعورا بأنه الوحيد القادر على قيادة البلاد والحفاظ على أمنها وسلامتها «ولهذا من الطبيعي أنه يجب علي أنا رئيس الجمهورية أن أقوم بكل شيء... ولك أن تقول إنه لولاي لما كان هناك حظ أو نصيب»[1]، ويصل الحد في تعظيم القائد وتملقه من قبل المنتفعين من حكمه إلى حد اعتباره أسمى من أن يحكم دولة كهذه التي يحكمها، يقول ذو الوجه الملائكي مخاطبا الرئيس: «فأنا من يؤمن أن رجلا مثلكم ينبغي أن يحكم بلدا مثل فرنسا، أو سويسرا الحرة، أو بلجيكا المجيدة، أو الدنمارك الرائعة...»[2]، وطبيعي أن يسر الرئيس بهذا الإطراء « ولاحت ابتسامة تحت شارب الرئيس»[3]، هؤلاء هم الذين يحبهم الرئيس ويقربهم إليه، فهو« يختار الفاسدين من البشر في نظام حكمه ليكونوا له أصدقاء، فهم عبيد النفاق، والطاغية تسره المداهنة وينتشي من النفاق»[4]إنها عبادة الشخصية في أوضح صورها، وهي التي تجعله يحكم البلاد حسب هواه وتبعا لنزواته، يغفر لمن يشاء ويعاقب من يشاء، ولا أحد يعترض، ولذلك نجد أصحاب الحاجات والمظالم يتوجهون إليه مباشرة دون المرور بالمؤسسات المخولة قانونا لحل مشكلاتهم، إنه يختصر البلد ومؤسساتها في شخصه .

تتغير الطريقة في تعامل السيد الرئيس مع الأمريكيين، فنجده يهادنهم ويرجو رضاهم، لأنهم إن غضبوا منه زحزحوه عن منصبه، ولذلك نجد السفير الأمريكي يعلم كل ما يدور في أروقة قصر الرئاسة، ويحضر حتى أثناء عرض التقارير الخاصة من المدعي العام.

يصور الكاتب الرئيس وهو يطلق العنان لنزواته، فهو يقيم علاقات مع نساء بالمئات من كل الأصناف والأطياف، فهو الرجل الذي عليه أن يظهر فحولته، حتى أن بعضا من المنتفعين والمتسلقين من لا يمانع في تقديم زوجته للرئيس ليقضي له أمرا، وبعض النساء يفتخرن بمعاشرة الرئيس لهن أو تحرشه بهن، كزوجة الطبيب لويس بارينو والتي لا تأنف من ذكر ذلك بحضرة زوجها، كما أن الرئيس يعاقر الخمر ويشربها إلى أن يعجز عن الوقوف على قدميه، يصف الكاتب ذلك بكل دقة في الفصل الثاني والثلاثين المعنون بالسيد الرئيس،

[1]– المصدر السابق، ص 303.

[2]– المصدر نفسه، ص 42 .

[3]– المصدر نفسه، ص 42 .

[4]– إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، ص 123.

وفيه يظهر الرئيس وهو مع ذي الوجه الملائكي في أبعد درجات السكر حتى أنه يتقيأ على ميغيل وهو يسنده مع وكيل الوزارة ليوصلاه إلى السرير، ويضفي الكاتب على مشهد سكره شيئا من السخرية : «... وقد خرج قميصه من زنار بنطاله، وانتفخت أزرار بنطاله، وانحلت سيور حذائه، وسال اللعاب من فمه، بينما عيناه تشعان ضوء أصفر كمح البيضة»[1]، وبعدها مباشرة يرسل الرئيس أحد ضباطه ليجلب له إحدى النساء ليمضي معها بقية الليلة.

تجلب هذه التصرفات والحماقات التي يفعلها الرئيس عليه نقمة بعض النخب المتنورة أو التي وقفت على مظاهر الظلم والفساد الإداري والأخلاقي، وتلمست معاناة الناس عن كثب، كحال الجنرال كاناليس الذي كان يوما ما من أركان حكم الرئيس لكنه لما تحسس القهر الذي يعاني منه الناس أثناء فراره يقرر الثورة، فيقول:« إني أقسم على العمل في سبيل الثورة الشاملة ... يجب أن يثور الناس على الطفيليين وضد من يستغلون مناصبهم الحكومية ... لا بد أن يأخذ كل واحد نصيبه من الدمار »[2]،و هو الموقف نفسه الذي يصرح به الطالب المسجون بسبب قضية سياسية عندما يدعوه مساعد القس – وهما في الزنزانة مع المحامي قابيل كرفخال – إلى الصلاة إلى الرب ليخلص البلاد من هذه الشرور، فيقول له: «ما جدوى الصلاة ! ينبغي لنا أن نسعى إلى تحطيم هذا الباب ونخرج لننظم إلى الثورة !»[3]، لكن قوة الرئيس تخنق هذه الأصوات الثائرة الطامحة إلى الحرية، فيقضي عليها جميعها، حيث يرسل من يقتل الجنرال، ويدس له السم في الطعام وهو على وشك قيادة قواته للثورة على الرئيس، ويختم **أستورياس** الرواية بمشهد يعبر عن تشاؤمه من بزوغ أنوار الحرية، فيصف الطالب ومساعد القس – بعد أن أفرج عنهما – وقد التقيا قرب رواق الرب بساحة الكاتدرائية، وقد مرت بهما فرقة من الجنود تقود المساجين، وكانت الساحة قد هدمت بناياتها انتقاما لمقتل الكولونيل باراليس، ورجل فقد عقله يجري هنا وهناك وزوجته تلاحقه مترجية الشرطي حتى لا يقبض عليه، « إن **أستورياس** يحرص أشد الحرص في كل جملة يكتبها على أن تكون مربوطة بالسياق العام للمشهـد الدكتاتـوري»[4]، إنه مشهد محبط ؛ حيث

[1]– ميغيل أنخل أستورياس، السيد الرئيس، ص 261.

[2]– المصدر نفسه، ص 225.

[3]– المصدر نفسه، ص 236.

[4]– حامد أبو أحمد، في الواقعية السحرية، الطبعة 1، سندباد للنشر، القاهرة، مصر، 2002، ص 224.

تتحول المدينة إلى ركام والناس إلى مجانين أو مساجين، تلك هي تبعات الحكم الدكتاتوري، وفي هذا المشهد إدانة واضحة ورفض صارخ للدكتاتورية .

ج – الخيالي والأسطوري في رواية السيد الرئيس:

مزج المؤلف هذه المشاهد الواقعية التي نقلها عن واقع الناس في عالم الدكتاتور والتي تتبعها بكل تفاصيلها في أكثر من موضع مع العالم الأسطوري والسحري المستمد من أساطير شعب المايا – كما أسلفنا في بداية هذه الدراسة لرواية السيد الرئيس – حيث ينتقل الكاتب ودون سابق إنذار إلى هذه العوالم الأسطورية الخيالية كما في مشهد عودة خينارو روداس عندما عاد إلى بيته بعدما قتل الأبله، فأمسى يشاهد أشياء خيالية أصابته بالذعر حتى راحت زوجته تؤنبه على سكره ثم راحت تتمتم بعض الرقى لتحمي طفلها وقد تأكدت أن زوجها يروي فعلا ما يشاهده، نجد ذلك في الفصل السابع تحت عنوان عين زجاجية، وهذا بعض ما جاء فيه: « وارتفع شبح الموت من المهد الذي ينام فيه طفله كأنما هو نعش ... كان الشبح يحاكي بياض البيضة في لونه، ذو عينين ضبابيتين، أصلع الرأس، بلا حواجب ولا أسنان ... كان هيكلا عظميا لامرأة لم يبق فيه من الصفات الأنثوية سوى الثديين الغائرين، رخوين مشعرين كالفئران المتدلية فوق إطار الضلوع »[1] كان هذا كابوسا رآه خينارو روداس وهو في حال اليقظة وكأنه شبح القتيل يطارده « كانت ثمة عين تسبح فوق أصابع يده اليمنى كأنها دائرة ضوء منبعث من مصباح كهربائي، تنتقل من الأصبع الصغير إلى الأوسط ومنه إلى أصبع خاتم العرس، ومن أصبع الخاتم إلى السبابة إلى الإبهام، عين... عين واحدة ...»[2].

يشير الكاتب إلى بعض الطقوس والممارسات التي كان الهنود يمارسونها في حياتهم اليومية، كما في حادثة السيدة تشون صاحبة الماخور التي احتال عليها المدعي العام حين باع لها السجينة فيدينا زوجة خينارو روداس، فقالت وهي في قمة الغضب: « لقد قلت لهم هذا الصباح أن يلقوا طينا من المقبرة على عتبة المدعي العام، سنرى إن كان ذلك يجلب عليه النحس »[3]. وعندما تعجز كميلة عن معرفة مصير زوجها وحقيقة اختفائه الغامض،

[1]– ميغيل أنخل أستورياس، السيد الرئيس، ص 66.

[2]– المصدر نفسه، ص 67.

[3]– المصدر نفسه ، ص 194.

وبعد تضارب الأنباء في ذلك تلجأ إلى عرافة تستحضر الأرواح، فتخبرها بأن زوجها مات في أعالي البحار، وبأنه ينعم في جنان الخلد بحياته[1].

تجعل هذه المشاهد وغيرها من هذه الرواية عملا أدبيا أصيلا ذا طابع محلي، يرتبط ارتباطا وثيقا بالموروث الثقافي في غواتيمالا والقارة الجنوبية عموما حيث يندمج السحري والأسطوري بالواقعي، وبذلك يكون **أستورياس** . بحسب **صالح علماني*** في تقديمه لكتاب القصة القصيرة الاسبانو أمريكية في القرن العشرين– رائد الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية، فيقول: « لقد كان **أستورياس** برؤيته حول سحر الواقع أحد أكبر المجددين في فن القص الأمريكي الإسباني»[2].

وعموما، فإن المؤلف في هذا العمل الأدبي قد جعل هدفه الأساسي تعرية الواقع المزري الذي يعيشه الشعب تحت حكم الدكتاتور، وفضح مساوئ هذا الأخير وإدانة طريقته في الحكم من خلال رصد جملة التصرفات وردود الأفعال المعبرة عن عديد العقد النفسية المتحكمة في شخصية الرئيس، والتي تكون الأساس في مواقفه وقراراته تجاه رعاياه وحاشيته وحتى أعدائه لعله بذلك يحرك الرغبة في الشعب على رفض الدكتاتورية والثورة عليها والتحرر من تبعاتها .

[1]– المصدر السابق، ص 326.

* – صالح علماني مترجم فلسطيني ولد في حمص السورية سنة 1949، درس الأدب الإسباني، مهتم بترجمة أعمال أدباء أمريكا اللاتينية خاصة.

[2]– مجموعة من القاصين المتحدثين بالإسبانية، (القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين)، ترجمة وتقديم صالح علماني، مجلة إبداعات عالمية، عدد 348، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004، ص 11.

2. رواية (خريف البطريرك) غابرييل غارسيا ماركيز

2. 1 – المؤلف في سطور:

غابرييل غارسيا ماركيز (**Gabriel Garcia Marquez**) روائي وصحفي كولومبي، ولد سنة 1927 في أراكاتاكا، نشأ في بيت جديه لأمه، وكان لذلك تأثير كبير في حياته الأدبية، فقد كان جده لأمه محاربا ليبيراليا من المنددين بالمجزرة الدموية التي ارتكبتها الحكومة في حق عمال مزارع الموز سنة 1928، أما جدته لأمه فهي التي كانت تقص عليه حكايا عن الأشباح وعوالم السحر، كان **غابرييل** منذ الصغر شغوفا بكتابة الشعر، حصل على منحة لإتمام دراسته الجامعية في بوغوتا العاصمة الكولمبية في تخصص القانون، وهناك أتيح له مطالعة رواية المسخ 1912 **لفرانتز كافكا Franz Kafka** (1883–1924) فتأثر بعوالمها السحرية العجائبية، فنشر أولى محاولاته القصصية الإذعان الثالث سنة 1947 في صحيفة الاسبيكتادور، عمل مراسلا صحفيا وترك دراسة القانون، استقر في المكسيك عام 1961 بسبب مواقفه المناهضة للإمبريالية الأمريكية والمؤيدة للثورة الكوبية وزعيمها فيدال كاسترو، بدأت شهرته الأدبية مع رواية مائة عام من العزلة 1967 التي بيع منها ثمانية آلاف نسخة في أسبوع واحد والتي حصل بفضلها على جائزة نوبل للآداب سنة 1982، يغلب على أسلوبه طابع الواقعية السحرية كبقية روائيي أمريكا اللاتينية في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أعماله الروائية الأخرى ليس للكولونيل من يراسله 1961، خريف البطريرك 1975، وقائع موت معلن 1981، الحب في زمن الكوليرا 1985، الجنرال في متاهته 1989، ذكرى عاهراتي الحزينات 2004، توفي ماركيز سنة 2014 .

2.2 – ملخص الرواية:

جاءت رواية خريف البطريرك استجابة لدعوة الروائي المكسيكي **كارلوس فوينتس**(1928–2012) لكُتاب أمريكا اللاتينية ليكتبوا روايات عن الدكتاتوريين الذين حكموا في بلدانهم – كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول – وقد شرع ماركيز في كتابتها عام 1958، وهي رواية يتناول فيها الكاتب حياة دكتاتور خيالي من منطقة الكاريبي استقى ملامحها من عدة شخصيات دكتاتورية في أمريكا اللاتينية لكن أغلبها مستمد من شخصية

الدكتاتور الفنزويلي **خوان فيسنتي كوميز**[*] **JuanVicente Gomez (1857-1935)** بحسب **عبد الله حمادي**[1].

تتبع الكاتب في هذه الرواية حياة الدكتاتور منذ المولد حتى مماته بصورة فنية مركزا على تشريح شخصية الدكتاتور وبيان آثارها على حياة الناس ومصائرهم اجتماعيا وسياسيا وإنسانيا، وهو بذلك « يطلق وبشكل فني رائع صيحة تحذير مريرة وقاسية تجعل الإنسان أكثر إدراكا لموقفه الصحيح في الحاضر والمستقبل من الدكتاتورية والحكم المطلق»[2]، كما يعمد الكاتب إلى تعرية كل عورات الطاغية كاشفا عن نزعاته المدمرة للآخرين باستمرار «فقدّم ردا فنيا ملتزما أدان فيه الدكتاتورية »[3].

تروي هذه الرواية قصة دكتاتور عسكري تولى السلطة بالانقلاب وبمساعدة من الإنجليز، يمارس هذا الدكتاتور كل أنواع العنف ضد معارضيه وبكل الوسائل المتاحة للحفاظ على بقائه في السلطة، تتكون الرواية من ستة فصول بلا عناوين.

يبدأ الفصل الأول بموت الدكتاتور الذي يكتشفه الناس بعد تحليق أسراب العقبان على القصر الرئاسي، وانقضاضها على شرفاته خلال نهاية الأسبوع محطمة بذلك شباكات نوافذه المعدنية في صورة خرافية فانتازية، وفي يوم الإثنين يدخل الناس إلى القصر الرئاسي ليكتشفوا حقيقة موت الرئيس، ويشاهدوا أشياء وأجواء يختلط فيها الماضي البعيد بالحاضر، ومن ثم يركز الكاتب على بعض التفاصيل من حياة الرئيس الذي كان صاحب الأمر والنهي في الدولة والذي كان يهتم بكل صغيرة وكبيرة في مملكة حكمه، يراقب حلب الأبقار بنفسه ويقدر كمية الحليب فيها، يمضي على الوثائق الرسمية بالبصمة، لأنه لم يدخل مدرسة في حياته، أوامره مطاعة حتى ولو ناقضت نواميس الحياة وقوانينها، فيأمر بتأخير الساعة في دولته فتُأخر، كما يشير الكاتب – في هذا الفصل – إلى بعض مغامرات الرئيس الغرامية

---

[*] – خوان فيسنتي غوميز حكم فينزويلا ما بين (1908و 1935) حكما استبداديا بعد انقلاب أبيض، وكان في كل مرة يلجأ إلى تعديل الدستور ليعتلي سدة الحكم مجددا.

[1]– أنظر: عبد الله حمادي، غابرييل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، الطبعة 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،، 1983، ص158.

[2]– حسين عيد، غارسيا ماركيز وأفول الدكتاتورية (دراسة في رواية خريف البطريرك) . الطبعة 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988، ص 29.

[3]– المرجع نفسه، ص 39.

والجنسية، ثم يعرج على الحديث عن شبيه الجنرال حد التطابق باتريسيو أراغونيس الذي كان يستغل شبهه بالرئيس لنهب أموال الناس والاحتيال عليهم باسم الرئيس، فيستغله الرئيس في التمويه به حفاظا على حياته الغالية، كما يعرض الكاتب بعض الجوانب من حياة الرئيس العامة بعد أن شعر بالطمأنينة على حكمه، فراح يخرج إلى الأسواق العامة لتفقد أحوال الناس، وكانوا هم يهتفون بحياته، كما يستعرض الكاتب أوقات راحة الرئيس حيث كان يستغلها بلعب الدومينو مع دكتاتوريين قدامى من أمريكا اللاتينية انقلبت عليهم شعوبهم فآواهم، وراح يبتزهم ليسلبهم ثرواتهم المنهوبة من خزائن بلدانهم، فيلاعبهم الدومينو ويجبرهم على الخسارة، لأنه لا يحب الهزيمة، كما يشير الكاتب إلى حياة الرئيس الدينية وعقيدته الإيمانية، فنجده يتطاول على الدين ولا يؤمن بأي ديانة رغم محاولات أحد القسس هدايته دون جدوى، هكذا يواصل ماركيز كشف الحقائق حول شخصية الرئيس الدكتاتور حتى يصل إلى أقوى اللحظات وأكثرها رعبا تلك التي يظهر فيها الدكتاتور ميتا ممدا على وجهه فوق أرض المكتب ميتة زائفة، ويدخل رجال الدولة في مفاوضاتهم ونقاشاتهم لأجل اقتسام التركة محاولين ربح الوقت، وتأخير إعلان خبر الوفاة، حتى أنهم أخرجوا أمه بندثيون ألفارادو إلى السوق لتتبضع بصفة عادية، وجاء اليوم الذي أعلنت فيه أجراس الكنيسة والأسهم النارية ودق الطبول عن نهاية الدكتاتورية، فابتهج الناس في الشوارع، واجتمع المجتمعون حول الجثة لاقتسام الغنيمة، ففاجأهم الدكتاتور بأن رفع يده، وهناك تملكهم الرعب وفروا جميعا إلا شريكه ووزير دفاعه رودريغو دي أغيلار، وهنا انطلق الرصاص يحصد أرواح المتآمرين، وقرعت الأجراس التي أعلنت خبر الوفاة تعلن عن خلوده الأبدي، وخرجت المسيرات مبتهجة مهللة ببقاء الزعيم الذي سيشرع في عملية الانتقام القاسي من أعدائه وخصومه، وقد ألقى بأحدهم إلى التماسيح الجائعة لتمزقه، وأمر بسلخ أحدهم حيا وإرسال جلده إلى أسرته ليكون عبرة لغيره، ولما أكمل الدكتاتور عملية الانتقام وتصفية أعدائه، قرر فجأة التوقف عن عمليات التعذيب والعنف بعد أن توصل إلى فكرة شيطانية، وهي إلهاء الشعب حتى يتوقف عن التفكير في السلطة والسياسة بإطلاق الألعاب الرياضية، ومسابقات ملكات الجمال السنوية، وتأسيس مدرسة للكِنَاسة في كل مقاطعة ليتولى الطلاب كنس الشوارع والدروب القروية والبيوت، كل ذلك تحت الرعاية السامية لسيادته الساهرة على نظافة الوطن، وكي يكسر طوق العزلة عن نفسه راح الجنرال الرئيس يعيش حياته الطبيعية، فراح يستقبل الناس،

وفتح نوافذ على البحر لرؤية البحر، وفي آخر هذا الفصل يظهر الجنرال وهو جالس أمام نافذته يشاهد على رصيف الميناء بارجة حربية تركتها قوات المارينز التي كانت لها اليد الطولى في بلده ثم هجرته خوفا من الطاعون الذي تفشى في البلد.

يبدأ الفصل الثاني باكتشاف موته كما في الفصل الأول، ثم يسلط الكاتب الضوء على صلة الكاتب بأمه بنديثيون ألفارادو، وعلاقته بمعشوقته مانويلا سانشيز ملكة جمال الفقراء والتي لم يستطع الظفر بها رغم محاولاته المتكررة وتذلله، فوصف ماركيز شعوره بالتفاهة والضعف أمام هذه المرأة رغم سلطته وجبروته، وتتداخل هذه الأحداث مع كثير من الحوادث الخرافية والفنتازية كما في الفصل الأول مع الانتقال السريع من مشهد إلى آخر دون ترتيب زماني أو مكاني.

يفضح الكاتب في الفصل الثالث أفعال الدكتاتور الدنيئة وجشعه كنهبه لأموال الدولة، واستغلاله الأطفال في سحب الأرقام الفائزة في جائزة اليناصيب الوطنية التي كان دائما هو الفائز بها باستعمال الحيلة طبعا، حيث كان الأطفال يؤمرون بالتقاط الكرة الساخنة من بين بقية الكرات أثناء عماية السحب، وللتستر على الحيلة يجمع الأطفال في مستودع سري، وعندما تبدأ التساؤلات حول مصير الأطفال المختفين، يقرر وبكل برودة دم وجرأة قل نظيرها التخلص منهم بتفجيرهم وهم في قارب محمل بالإسمنت في عرض البحر وفي المياه الدولية مع مكافأة من قاموا بهذا العمل البطولي، ثم التخلص منهم فيما بعد لدفن الحقيقة نهائيا، كما يعرج الكاتب على نجاح الدكتاتور في إفشال محاولة انقلابية أخرى قادها عسكريون ضده.

ينتقل الكاتب في الفصل الرابع إلى الحديث عن موت أم الجنرال وإصداره مرسوما رئاسيا بتقديسها رغم معارضة الكنيسة البابوية في روما التي سيخوض معها حربا بلا هوادة بسبب معارضتها لهذا التقديس، فيطرد رئيس الأساقفة من البلاد، ويصادر ممتلكات الكنيسة، ويهجر الرهبان والراهبات، ويعلن حالة الحرب مع الكنيسة، ثم يوعز بقتل المحقق الكنسي المكلف من الكنيسة البابوية في روما بالتحقيق في حقيقة بنديثيون ألفارادو تهدئة للوضع .

يغوص الكاتب عند الفصل الخامس في الحياة الشخصية للدكتاتور وأمر زواجه الرسمي من زوجته الشرعية ليتيسيا نازارينو الراهبة، والتي ستكون سببا في تصالحه مع الكنيسة بسبب نفوذها الهائل عليه، وسيكون هذا النفوذ سببا في كثير من الفساد المالي الذي تقوم به

زوجة الرئيس، ناهيك عن تمكينها لآل نازارينو من كثير من المزايا والتسهيلات على حساب الشعب، فهي أم ولي العهد الذي قرر الرئيس أنه وريثه في الحكم، فألبسه اللباس العسكري حتى سمي الجنرال الصغير، لكن ذلك لن يتم حسب ما خطط له الرئيس، فستغتال الزوجة وابنها في حادث انفجار سيارتهما البرلينية مما يُؤجج غضب الرئيس وسخطه، فيكلف أحد أقوى الرجال المأجورين للبحث عن الجناة والانتقام منهم، إنه خوسيه دي لا بارا صاحب كلب الدوبرمان الفتاك، وسيشرع هذا الرجل في عمله مقابل أجر خيالي حدده بـ 180 مليون بيزو، وصلاحيات غير محدودة، وهكذا تبدأ عمليات الاغتيال لمجرد الاشتباه حتى وصل عدد المغدور بهم 819 رجلا كان يرسل رؤوسهم إلى الرئيس كان من بينهم واحد من أكثر الرجال قربا من الرئيس، وشيئا فشيئا يفقد الدكتاتور سلطته أمام دي لابارا الذي سيمارس سلطات واسعة دون محاسبة حسب الاتفاق المبرم بينه وبين الرئيس، فيعين أعضاء الحكومة التي ستتصرف دون استشارة الجنرال، وعليه سيفقد الرئيس سلطاته، وسيشعر بالمهانة وعدم القدرة على التصرف، لكن دي لابارا كان يوهمه دائما بأنه لايزال هو الرئيس، فيذكره بحلول الذكرى المئوية لتوليه السلطة.

يصور **أستورياس** في الفصل السادس والأخير، جثة الجنرال وهو مسجى بكل أشيائه على طاولة في قاعة الاحتفالات بالقصر الرئاسي، وستكون هذه ميتته الأخيرة والأبدية، وما سيتبع ذلك من إجراءات للحفاظ على استقرار البلاد من خلال نشر القوات الأمنية في البلاد وحالة الترقب التي يعيشها الشعب في انتظار ساعة الخلاص النهائي من الطاغية، ويعود الكاتب بشكل مفاجئ إلى ماضي الدكتاتور حين عزلته لما كان الأمر كله بيد دي لابارا، فكان الجنرال الهرم يراقب فتيات المدارس حين مرورهن بقصر الرئاسة حتى أوقع بإحداهن، وسنكتشف فيما بعد أنها لم تكن إلا مومسا دُفع لها لكي تمثل على الرئيس وتلهيه قليلا، وهذا ما يكشف خرف الرئيس وهو في عزلته، كما يعرج الكاتب على حالة الإفلاس التام الذي وصلت إليه البلاد في ظل غياب الرئيس عن ممارسة سلطاته، فالبلاد أصبحت نهبا للأجانب، والمنتفعون من هذا الغياب أجهزوا على ما تبقى من خيرات البلاد، لكن الرئيس استشعر خطورة الأمر رغم ذلك وحاول استعادة زمام المبادرة، فحرض الجماهير على الفتك بالمأجور دي لابارا لإيهامهم بأنه سبب البلاء الذي يعيشونه، فوجد الرجل ذات يوم معلقا في ساحة عامة وعضوه الذكري في فمه، ويمضي الكاتب في تتبع المحاولة اليائسة من الجنرال

الدكتاتور في استعادة مجده وسط الخراب، وقد أصبحت البلاد رهينة للأمريكان بسبب قضية الديون المتراكمة على الدولة، وهكذا إلى أن يصل إلى الحقيقة الأزلية حقيقة الموت الذي سينهي حياة هذا الدكتاتور إلى غير رجعة، وهناك تخرج الجماهير منشدة أغاني الحبور مبتهجة بالخلاص من زمن الأبدية الذي طال، «انقضت العقبان على شرفات القصر الرئاسي خلال نهاية الأسبوع، فحطمت بمناقيرها شباك النوافذ المعدنية، وحركت برفيف أجنحتها الزمن الراكد في الداخل، ومع بزوغ شمس يوم الاثنين استيقظت المدينة من سبات قرون عديدة على نسمة دافئة ورقيقة لميت عظيم»[1]، ثم يشرع الكاتب في وصف القصر الرئاسي بما فيه من فوضى وغرابة حتى خيل لمن دخلوه من عامة الشعب بعد موت الرئيس بأنهم في أجواء عصر آخر، فقد شاهدوا الأبقار التي كان يربيها الرئيس في القصر تجوب المكاتب والقاعات الرسمية ذهابا وإيابا دونما اكتراث، وهي تأكل ستائر المخمل وتلوك ساتان الأرائك، وعندما واصلت جموع الناس التقدم والتوغل في القصر شاهدوا جثة الجنرال الذي لم يروه منذ زمن بعيد « وهناك رأيناه هو، ببدلته الكتانية الخالية من الشارات، ولفافات ساقيه ومهمازه الذهبي على الكاحل الأيسر، كان أكثر سنا من كل الرجال ومن كل الحيوانات القديمة في الأرض وفي الماء »[2].

3.2- واقع الدكتاتور:

أ- أصل الدكتاتور:

عاش الدكتاتور في الرواية زمنا طويلا ما بين 107 و232 سنة، إنه نسخة عن أربعة عشر جنرالا تعاقبوا على حكم البلاد وكأنهم واحد في طريقة الحكم، ثم يمضي الكاتب في كشف بعض الأسرار الدقيقة عن حياة الجنرال الذي اختصر كل الوطن في شخصه، ويستبطن هذه الذات الغامضة لعله يجد تفسيرا لسلوكاتها اللاإنسانية، وسنركز في هذا المقام على الوقوف عند هذه الشخصية وتتبع العوامل التي قد تكون سببا في تسلطه وحبه للسلطة، كما سنقف عند أهم مواقفه من بعض القضايا ذات الصلة بمحيطه الرئاسي .

[1]- غابرييل غارسيا ماركيز، خريف البطريرك، ترجمة محمد علي اليوسفي، الطبعة 2، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص11.

[2]- المصدر نفسه، ص 14.

ينحدر دكتاتور **غارسيا ماركيز** من أصل وضيع كما هو الحال في أغلب روايات الدكتاتوريين في أمريكا اللاتينية، وقد يكون ذلك سببا من الأسباب التي تدفع به إلى تغطية هذه النقيصة « فمن المعروف أنه كان رجلا بلا أب مثل الطغاة الأكثر شهرة في التاريخ»[1]، إذا فهذا الرجل يفتقد إلى النسب الصحيح، ولذلك نجده أثناء ممارسته للحكم ينجب بواسطة العلاقات الجنسية غير الشرعية آلاف الأطفال الذين لا يعترف لهم بنسبه إلا واحدا منهم هو ابنه من ليتيسيا نازارينو زوجته الشرعية والذي قتل مع أمه ولم يتجاوز السادسة، بهذا يريد أن يكون الكل في مملكة حكمه سِيَّان في النسب وبذلك يتخلص من هذه العقدة، ويصحح المسار فيما بعد بولد شرعي لكن ذلك يبوء بالفشل . ويبدو أن أم الدكتاتور المسماة بنديثيون ألفارادو « حبلت به ولم يمسسها بشر »[2]، وسيستثمر الدكتاتور في هذا المولد بعد تزوير التاريخ الوطني والحقائق المتعلقة بنسبه، فيجعل من أمه قديسة تماثل العذراء مريم، ويشبه نفسه بالمسيح عيسى، لذلك يختار له الكاتب لقب البطريرك وهي أعلى الرتب الدينية في المسيحية، لكن الحقيقة أنه ليس كذلك لأننا سنكتشف فيما بعد بأن أمه هذه ليست إلا بائعة هوى، كانت من جراء فقرها تبيع اللذة لمن يشتريها، وعندما لا تجد زبائن تلجأ إلى كسب قوتها من المزابل « وتذكر طفولة نائية كانت تظهر له لأول مرة صورته الشخصية وهو يرتجف من برد الصحراء العالية وصورة أمه بنديثيون ألفارادو وهي تفتّك من نسور المزابل مصارين خروف من أجل الغداء »[3]، لعل هذه الفاقة هي التي ستجعل منه فيما بعد رجلا نهما للمال يحرص كل الحرص على جمعه وتكديسه بشتى الوسائل غير المشروعة، كما نجده يغدق على أمه من خيرات البلاد بلا حساب، ويطلق يد زوجته تتصرف في المال العام دون رقيب .

نشأ الطفل الذي سيغدو جنرالا حاكما للبلاد وهو لا يتقن أبسط الأصول في التعامل والسلوك، مما جعل الإنجليز الذين نصبوه على البلاد يعلمونه الأصول، « لقد علموه كيف يمشي بزوجي حذاء، ويمسح بالورق، ويستخدم غشاءات انجليزية واقية »[4]، إنها صورة

[1]– الصدر السابق ، ص 60.

[2]– المصدر نفسه ، ص 61 .

[3]– المصدر نفسه، ص 293.

[4]– المصدر نفسه، ص 130.

كاريكاتورية لمن سيكون حاكما للبلاد على مدى دهور من الزمن، ومع ذلك يغلب عليه طبعه وأصله فعندما يجامع واحدة من أولئك النسوة الكثيرات اللائي وطئهن تلبية لرغبته الجامحة في الجنس يفعل ذلك كما يفعل الحيوان ودون مقدمات، فيثب عليها ويقضي حاجته وهي مستسلمة لا تستطيع رده.

ب – حاجته إلى الوصاية :

مادام الرئيس قد نشأ دون أب فإن وصاية الأم عليه شيء لا مناص منه، ولذلك حرصت الأم دائما على توجيهه – مع شكها الدائم بأنه غير قادر على إدارة الحكم بكفاءة – فكانت توصيه بأن يجمع ما أمكن من الثروة ويدسها في مكان آمن اتقاء تقلبات الزمان، وكان الجنرال دائم التعلق بأمه، كان يناجيها عندما تعوزه الحيلة، ويفقد القدرة على المبادرة، وذلك ما حدث في كثير من المرات ؛ فعندما اغتيلت زوجته وابنه يجد نفسه عاجزا على التصرف فيشرع في مناجاتها لعلها تلهمه التصرف السليم: « أماه بندثيون ألفارادو ساعديني، لا تحرميني من سند يديك، ضعي في طريقي الرجل الذي سوف يساعدني على الانتقام لذلك الدم البريء»[1]، وعندما سمح للأمريكيين باقتطاع البحر أجزاء ونقله إلى بلادهم تعويضا عن الديون المتراكمة في صورة خيالية واضحة كان يصرخ مناديا أمه:«أماه بندثيون ألفارادو انيريني بأنوارك المعرفية»[2]، هذا الشعور بالضياع والعزلة وعدم المقدرة على التصرف ناتجان عن استفراد الرئيس بالسلطة وعدم ثقته في أي كان من المعاونين والمقربين.

لا تتوقف حاجته إلى الوصاية على أمه بل هو في كثير من الأحوال عبد مطيع للأجانب الذين نصبوه على البلاد، فهم من يتدبر أمره في أدق التفاصيل في حياته: « جاء قائد البارجة إلى مقر الرئاسة مع قوم لو أنك رأيتهم لقلت هم فلكيو اليابسة، ثم إنهم قاسوا كل شيء ولم يتفضلوا حتى بتحيتي غير أنهم مرروا مترا قماشيا فوق رأسي وأخذوا يقومون بحساباتهم بالإنجليزية، وكان المترجم يزعق بي: ابتعد من هنا، أغرب عن شمسي، وكان يبتعد، اختبء في زاوية حتى لا تضايقنا، يا للفوضى لم يعد يعرف أين يقف من دون أن يزعجهم إذ أن بعض المسّاحين بالمتر كانوا يقيسون حتى نور الشرفات، ولكن الأدهى، أماه،

[1]– المصدر السابق، ص 229.

[2]– المصدر نفسه، ص 274.

هو أنهم طردوا محظيتيه الأخيرتين الكسيحتين لأن الأميرال رأى أنهما غير جديرتين برئيس»[1]، وعندما هجرته قوات المارينز التي كانت تساعده على التحكم في زمام الحكم بسبب خوفهم من وباء الطاعون بدا حائرا لا يدري ما العمل؟ « لكنهم رحلوا أماه، يا للفوضى، لقد رحلوا»[2]كيف لا يحتار ؟ وهم الذين كانوا يقررون كل شيء، وهو لا يقدر على التصرف إلا بأمر منهم « أما قديما، وفي زمن احتلال المارينز، فقد كان ينعزل في مكتبه ليقرر مصير الوطن مع قائد جنود الإنزال، ويوقع كل أنواع المراسيم بصما بإبهامه»[3]، وبذلك فإن « الدولة التي يحكمها طاغية لا يمكن أن تكون حرة وإنما هي مستعبدة إلى أقصى حد »[4]، ورغم هذا العجز الذي يظهر عليه الجنرال إلا أنه كان في أحيان كثيرة يستعيد زمام المبادرة في كل مرة، ويخرج من الأزمات أكثر قوة، وأكثر عنفا، وهي اللغة الوحيدة التي يعرف أساليبها لأنه كان يكره الفشل والانكسار.

ج- هواجسه :

يعاني دكتاتور ماركيز من فقدان الثقة بأي من رجاله وأفراد شعبه، لأنه يعلم أنه غير شرعي وغير عادل، فالمقربون منه يتحينون الفرصة لينقضوا على السلطة كما انقض عليها هو ذات يوم، وكانت تتراءى له صور مفزعة حتى في يقظته « عندما كان لايزال تحت رحمة نذر كوابيسه وتأويلاتها فيلغي فجأة سفرا في بدايته بعد سماعه لغناء الببغاوات فوق رأسه، ويغير تاريخ خروجه إلى الناس لأن أمه بنديثيون ألفارادو وجدت مُحّين في بيضة واحدة، ويلغي موكب الشيوخ والأعيان الذين يرافقونه في كل مكان ويلقون عوضا عنه الخطب التي لم يتجرأ قط على إلقائها، لأنه رأى نفسه في بيت كبير مقفر في الحلم محاطا برجال شاحبين يرتدون سترات لاوية رمادية ويمزقونه بسكاكين جزار وهم يبتسمون، ويطاردونه مسعورين»[5]، تتكرر هذه الهواجس في أكثر من موضع من الرواية، ويزداد خوفه

[1]- المصدر السابق، ص 63.

[2]- المصدر نفسه، ص 64.

[3]- المصدر نفسه، ص 18.

[4]- إمام عبد الفتاح إمام، الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، ص 98.

[5]- غابرﻳﺎل غارسيا ماركيز، خريف البطريرك، ص 106.

من الموت فيقصد إحدى العرافات ليعرف الطريقة التي سيموت بها، وعندما تخبره، يقتلها فورا حتى لا يعلم أحد الظروف التي سيموت فيها[1].

جعلته هذه الهواجس الدكتاتور شديد الحرص على سلامته، فكان لا يتوانى لحظة في الإيقاع بمن يشك في ولائه، كما اكتسب قدرة خارقة على التنبؤ بما يضمره عدوه ويخطط له في عديد محاولات الاغتيال التي تعرض لها « كان هو الوحيد الذي فاجأ الشؤم وأحس به جليا ووشيكا إلى حد أنه أمر أحد مرافقيه خفية بإيقاف أحد الموسيقيين ذاك الذي ينفخ في الرماثة، وبالفعل وجد عنده بندقية صيد مصقولة الأنبوب، واعترف تحت التعذيب أنه كان ينوي استخدامها خلال فوضى الخروج»[2]، كما قادته حاسته الخارقة ليكشف مؤامرة وزير دفاعه وأحد رجاله الذي كان يثق به رودريغو دي أغيلار حين رأى أثناء جولة الدومينو النذير وهو «يتجسد في يد متروية أنهت اللعب بخمسة مزدوجة، حدث كل شيء كما لو أن صوتا داخليا أسرّ إليه بأن هذه اليد هي يد الخيانة »[3]، وسينتقم منه أقسى انتقام، ويقضي على المتآمرين، فيقدم وزير دفاعه وليمة « على طبق من فضة، ممددا بكامل طوله على زينة من القنبيط والرند، منقوعا بالتوابل مذهبا بالفرن ... وغدق بقدونس في فمه جاهزا لأن يقدم طعاما في وليمة الأصدقاء» [4]، حينها يصدم المدعوون إلى الوليمة، فيشرع الجنرال الرئيس في تصفيتهم والقضاء عليهم رميا بالرصاص، ومن احتياطات السلامة التي لجأ إليها حفاظا على حياته وللتقليل من هواجسه اختياره رجلا يشبهه إلى حد التطابق ليحل محله في بعض المهام الرسمية وغير الرسمية، وهكذا نجا الدكتاتور من ست محاولات اغتيال تعرض لها باتريسيو أراغونيس شبيهه والذي سيموت في السابعة بسهم مسموم.

د – شبقه وحياته الجنسية:

يسلط الكاتب الضوء على تفاصيل الحياة الجنسية للدكتاتور ليكشف حالة الهوس بالجنس المصحوبة عادة بالعنف في الممارسة الجنسية، وتمتد هذه الممارسات على مستوى كثير من ربوع الرواية، ولعل التفسير الوحيد لذلك هو انتقام الرئيس من الشعب بممارسة الجنس على

[1]– المصدر السابق ، ص 109.

[2]– المصدر نفسه، ص 30.

[3]– المصدر نفسه، ص 137.

[4]– المصدر نفسه ، ص 140.

نسائهم إذلالا لهم وإثباتا لفحولته التي فشل في إثباتها في أول محاولة أثناء شبابه عندما كان ملازما في سلاح المدفعية زمن الحرب الأهلية، حين باغت امرأة للجنود تستحم في نهر، فتردد كثيرا في مواقعتها لكنه أقدم خوفا من إضاعة الفرصة، وساعدته هي على خلع ملابسه وتبديد خوفه لكنها صدمت، وفرت منه لما رأت خصيته المنتفخة ككلية ثور وذلك الفتق العجيب الذي لازمه طول حياته وكان من أسباب خجله، لازمت هذه العقدة الجنرال فكان حين يمارس الجنس على إحدى محظياته وخادماته ومن يقع عليهن ناظره من النساء يفعل ذلك دون أن يخلع ثيابه، ويهجم عليهن كالثور الهائج، « دخلت إحدى خلاسيات البيت لتجمع البيض، أحس بإشعاع شبابها الدافئ، باغت ضجة صدارها وارتمى فوقها، انتبه سيدي الجنرال، همهمت مرتجفة، ستكسر البيض، فلنكسره، سحقا إذا، أجاب الجنرال، وأوقعها بخشونة من دون أن يجردها من ثيابها أو يتجرد هو من ثيابه»[1]، ولا يكتفي الدكتاتور بالبالغات من النساء والمتزوجات منهن بل راح يلاحق فتيات المدارس، ويغريهن وهو في أرذل العمر بالحلوى حتى يلبي نزواته، أما زوجته الشرعية ليتيسيا نازارينو فإنه، وقبل أن يواقعها، كان شديد الارتباك، وكانت تجربته الجنسية الأولى الفاشلة تطارده، ولم يستطع قضاء حاجته منها إلا بعد مرور أشهر، هذه هي الصورة الحقيقية كما أرادها ماركيز لمن كان الشعب يناديه بالفحل(الماتشو).

هـ – مواقفه:

هـ . 1 – موقفه من الدين:

كان البطريرك الذي اتخذه الكاتب اسما لدكتاتوره مستمدا من الدين المسيحي، ورغم ذلك لم يكن هذا البطريرك مؤمنا بالرب بل كان يتحداه جهارا في كثير من الأحيان وبنوع من الاستهتار والكبرياء، فيخاطب القاصد الرسولي الذي يحاول أن يهديه إلى ديانة المسيح: « إذا كان الله فحلا بالقدر الذي تتحدث عنه، فقل له أن يخلصني من هذه الذويبة التي تطن في أذني، ثم يفك الأزرار التسعة في فتحة بنطاله ويريه الفتق العجيب، قل له أن يزيل انتفاخ هذا المخلوق »[2]، وعندما يلح رجل الكنيسة على المضي قدما في مسعاه يخاطبه وهو

[1]– المصدر السابق، ص127.

[2]– المصدر نفسه، ص 29.

يودعه :« لا تتعب نفسك أبتاه ... لماذا تريدني أن أهتدي بما أنني في كل الأحوال أقوم بما ترغبون فيه أنتم الكهنة، سحقا »[1] فهو إذن ينظر إلى الدين نظرة مادية صرفة، فهو أخذ وعطاء ولا شيء غير ذلك .

يطلب الرئيس عندما تموت أمه بنيدثيون ألفارادو من الكنيسة الموافقة على تقديسها، وعندما يصطدم برفض القاصد الرسولي الذي استدعاه من روما لهذا الغرض يهدده، ثم يوعز إلى الجموع الغفيرة بأن تنتقم منه، وجاءه الخبر: «إنهم يصطحبون القاصد الرسولي على حمار في نزهة عبر الشوارع التجارية، وكان طوفان حقيقي من مياه الغسيل يسكب عليه من أعالي الشرفات، وكانوا يصرخون به: أيها اللوطي الكبير، يا مِسْ (سيدة بالعربية) فاتيكان دعيني أنجب منك أطفالا »[2]، وعندما انتهى الجزاء الشعبي أمر السيد الرئيس بوضع القاصد الرسولي على خشبة إنقاذ في عرض البحر مع مؤونة ثلاثة أيام «حتى يدرك العالم بأسره كيف ينتهي الغرباء الذين يهددون هيبة الوطن»[3]، إنه يختلق الحرب على الكنيسة بل على العالم لإلهاء العامة عن واقعها بحروب وهمية لا ناقة لها فيها ولا جمل، ويعلن الحرب فعلا على الفاتيكان بعد أن رفض تقديس أمه فيطرد رئيس الأساقفة وجميع الأساقفة والكهنة والراهبات وكل من له علاقة بخدمة الرب، ثم يصادر باسم الشعب ممتلكات الكنيسة، لكنه سيعفو عنها وستعود المياه إلى مجاريها بعد أن يتزوج ليتيسيا نازارينو الراهبة السابقة التي تستغل ولعه بها فتدفعه لاصدار مرسوم يعفو فيه عن الكنيسة، ويسمح بعودتها إلى النشاط في البلاد، ومن هنا فإن موقفه من الدين يخضع لمزاجه ومصلحته.

هـ .2 – موقفه من المثقفين والكتاب:

لم يدخل دكتاتور **ماركيز** مدرسة – كما هو معلوم – ولم يقرأ كتابا، ولذلك فإن موقفه من الفن والفنانين يتصف بالاحتقار تارة والعداء تارة أخرى، ففي غمرة انتصاره على أعدائه وحتى يبث الروح من جديد في الوطن الجريح، ويجمع شمل أبنائه، سمح للمعارضين والمنفيين السياسيين بالعودة إلى الوطن إلا الكُتاب الذين قال فيهم: « صدقوني إنهم لا

[1]– المصدر السابق، ص 30 .

[2]– المصدر نفسه، ص 161 .

[3]– المصدر نفسه، ص 162.

يصلحون لشيء، إنهم أسوأ من السياسيين، أسوأ من كهنة الكنيسة »[1]، هذا الموقف يدل على عداء متمكن في نفسية الجنرال من العلم والفن المرادف للحقيقة التي يكرهها ولا يطيقها، لذلك يعمل جهده لإطفاء نورها، وربما هو يدرك أن هذه الفئة من الناس لا يمكن شراء ذممها بحفنة من الامتيازات كما فعل مع غيرها.

هـ. 3 – موقفه من الأجانب:

يحاول كل حاكم غير شرعي مستبد أن يرسي نظام حكمه بالاستعانة بالأجانب الذين لهم القوة في حمايته وتدبير شأنه مقابل امتيازات لا حصر لها، وبذلك تصبح البلاد رهينة في يد الأجانب يستبيحون ثرواتها بأبخس الأثمان ؛ فالدكتاتور عند ماركيز كما أشرنا سلفا يتولى السلطة بمساعدة الانجليز الذين سيتركونه وحيدا مع شعبه بعد أن لم تعد لهم مصلحة فيه، فيستعين بالمارينز الأمريكيين ليحكم البلد بكل اطمئنان، وبالمقابل يطلق يد الولايات المتحدة في البلاد، ويصادق السفير الأمريكي ويلسون الذي يضغط عليه كي يرهن بحر البلاد الذي طالما تعلق به الجنرال مقابل بعض الديون، ويرضخ الجنرال بعد ممانعة يائسة: « وهبتهم حق التمتع ببحارنا الإقليمية بالطريقة التي يرونها تتطابق مع مصالح الإنسانية وتخدم السلام بين الشعوب، والتنازل الاختياري المذكور يتضمن، كما ينبغي، ليس فقط المياه الطبيعية ... وإنما كل ما يفهم من كلمة بحر بالمعنى الواسع للكلمة، أي حيواناته ونباتاته، وسرعة رياحه، وملّباراته، وكل شيء »[2].

و– عزلة الدكتاتور:

قال **ماركيز** في أحد حواراته حول رواية خريف البطريرك بأنه كان يريد أن يكتب كتابا عن دكتاتور أمريكي لاتيني جالس في قصره، معزول عن العالم صاحب سلطة مطلقة «كان مشهد دكتاتور طاعن في السن بحيث لا يمكن تصور مدى شيخوخته، يبقى منعزلا في قصر مليء بالأبقار»[3]، تبدأ حياة العزلة عند دكتاتور **غارسيا ماركيز** بعد أن اكتشف مؤامرة وزير دفاعه ومستشاره ورجل ثقته رودريغو دي أغيلار، والذي سينال جزاءه بطريقة فضيعة في

[1]– المصدر السابق، ص 120.

[2]– المصدر نفسه، ص 173.

[3]– عبد الله حمادي، غابريال غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، ص 158.

تلك المأدبة ممددا على طبق من فضة جاهز للأكل،، ومنذ تلك الحادثة يعيش الدكتاتور خائفا من الانقلاب عليه، ولم يبق له من الرجال المخلصين الأقوياء أحد رغم محاولاته الحضور في أذهان الشعب ولو بمخاطبتهم عبر الراديو، ويزداد عزلة عندما يتزوج ليتيسيا نازارينو التي ستكون هي صاحبة الأمر والنهي في البلاد والشخصية الأكثر تأثيرا في حياته؛ فجميع القرارات المهمة والحاسمة كانت تتخذ على سرير الزوجية، ويصدم الدكتاتور وهو يحضر ابنه الوحيد لخلافته والذي قلّده النياشين والأوسمة، وكانت أمه تأخذه ليترأس الاحتفالات الرسمية باسم والده، ويستقبل الوفود الدبلوماسية « مزيّنا بالمداليات الحربية التي ينتقيها حسب هواه من صندوق الأوسمة الذي يعطيه إياه بابا كي يلعب به»[1] في غياب رسمي تام للجنرال الوالد، ونقف في النص على العديد من التعابير التي تشي بحياة العزلة التامة التي يعيشها الدكتاتور في أواخر حياته حتى أن الناس السذج يعلقون عندما يحدث تصرف غريب من الطفل الصغير: « يا للهول لو أن الجنرال يعلم بذلك »[2]، ويبدو أن كبار قادة القوات المسلحة بدأوا ينزعجون من سلطة الصغير، فقرروا أن يشتكوا إلى الجنرال الأب حتى يكون على فكرة عن الطريقة التي يدار بها الوطن خلف ظهر الرئيس، وعندما دخل عليه أحدهم وجده في وضع يوحي باعتزاله السلطة كلية « كان مسترخيا على كرسيه... مرتديا بزة النسيج المحبك البيضاء المجعدة ذات الأزرار الجلدية والخالية من الشارات»[3]، ويبدو أنه كان قد سلم كل مقاليد البلاد لزوجته لتديرها على هواها « لأنّكِ كنت دائما كما شئت أن تكوني لسان حال إرادتي العليا، كنت صوتي، كنت عقلي وقوتي»[4]، وكان عندما ينتهي من ممارسة الحب مع زوجته ينطلق إلى عزلته ووحدته، «فكان يعلق فوق باب غرفته، غرفة الأعزب المتصلب مصباح الانطلاق نحو الكارثة، ثم يغلق الرتاجات الثلاثة والمزاليج الثلاثة والدعامات الثلاث، وينبطح على الأرض، وحيدا مرتديا ثيابه»[5]، وهي الجملة التي تتكرر كثيرا في الرواية لتعبر بحق عن الوحدة والعزلة المطلقة التي يعيشها هذا الذي يتحكم في أقدار شعب بأكمله لكنه يعيش وحيدا في مملكته، وتزداد عزلته إيغالا عندما

[1]– غابريال غارسيا ماركيز، خريف البطريرك، ص 200.

[2]– المصدر نفسه، ص 201.

[3]– المصدر نفسه، ص 207.

[4]– المصدر نفسه، ص 209.

[5]– المصدر نفسه ، ص 210.

تغتال زوجته وابنه، فكان يمكث وحيدا مع عدد ضئيل من المستخدمين في قصر الرئاسة المهجور تائها دون نشاط يذكر، وكان وهو يتجرع مرارة اغتيال عائلته يناجي أمه لعلها تلهمه التصرف، وعندما يعثر على المأجور دي لابارا ينعزل هو أكثر فأكثر، ويترك البلاد نهبا للمأجور يعيث فيها تقتيلا وفسادا، وحتى عندما حلّت الذكرى المئوية لتوليه السلطة لم يشعر بها، ولمّا أخبره دي لابارا بضرورة حضور الاحتفالات «أغلق في وقت أبكر مما سبق رتاجات سجنه الليلي، ثم المزاليج الثلاثة ثم الدعامات الثلاث ونام منبطحا»[1]، وكانت البلاد في أثناء ذلك تغرق في الديون حتى أصبحت رهينة للأجانب الدائنين، «لقد تخلينا عن امتيازات الكينا والتبغ للانجليز، ثم تخلينا عن امتيازات المطاط والكاكاو للهولنديين، ثم عن سكة حديد المرتفعات والملاحة النهرية للألمان، وكل الباقي للأمريكيين بسبب الاتفاقات السرية التي لم يعلم بها إلا بعد السقوط المدوي والموت العلني لخوسيه إيناثيو ساينز دي لابارا»[2].

يصف الكاتب في مشهد دقيق حالة الغياب التام للدكتاتور عن السلطة بسبب خرف الشيخوخة والهرم عندما كان القصر الرئاسي يرمم دون علمه – وكأنه يعد نفسه لاستقبال السيد الجديد – كان العمال يصيحون به من دون التعرف عليه: « لا تدخل يا سيد سوف تشوه الجص، فكان لا يدخل، ابق هنا في الأعلى ...اذهب من هنا أيها الشيخ الخرف، لا تتغوط في الملاط، فكان يبتعد »[3]، وحتى عندما كان يمر في الشارع في موكب سيارات الليموزين فلا أحد من المارة يأبه به، وهو الذي كانت الحناجر تصدح باسمه:« عاش الفحل».

يستمر العجوز الهرم في السلطة لا ينبغي التنحي عنها رغم عجزه التام ورغم نصائح طبيبه الخاص :« لقد أزفت الساعة كي تتنحى سيدي الجنرال ... أنقذنا من الفوضى، غير أنه يسأل مذهولا: من قال لك بأني أنوي الموت يا طبيبي العزيز، فليمت آخرون في انتظار ذلك »[4] وكأن شعاره في ذلك: يموت الجميع ويحيا الملك، يقول ذلك رغم أن آلامه في

[1]– المصدر السابق ، ص 238.

[2]– المصدر نفسه، ص 147.

[3]– المصدر نفسه، ص 250.

[4]– المصدر نفسه ، ص 285 .

ازدياد، « ولم يتبقى في العالم حقيقة أخرى سوى حقيقة ألمه، ولآخر مرة أغلق رتاجات غرفته الثلاثة، وأغلق المزاليج الثلاثة ثم الدعامات الثلاث »[1]، ثم راح يصارع الموت في عناد وقد آنت ساعته وحان أوانه، « حصده عكاز الموت بضربة فورية، فانطلق محلقا في الجلبة المدلهمة ... باتجاه مملكة الظلام ... غريبا عن هتافات الحشود والمهتاجة التي كانت تهرع إلى الشوارع جذلى، منشدة موته بأناشيد الحبور، غريبا إلى الأبد عن موسيقى معزوفات التحرر، عن أسهم الفرح النارية، وعن أجراس البهجة التي زفت للملإ البشرى بأن زمن الأبدية الهائل كان أخيرا قد انتهى »[2]، وبهذه الطريقة الدراماتيكية يسدل الكاتب الستار على مشهد دكتاتوري طال أمده، لولا نواميس الحياة العادلة لبقي أبد الدهر، بعد أن عجزت جميع المحاولات البشرية لإزاحته، وفي ذلك إشارة إلى أن دوام الدكتاتورية أمر مستحيل وأن البقاء للشعب دائما، فقد مات الدكتاتور وبقي الشعب.

[1]– المصدر السابق ، ص 295.

[2]– المصدر نفسه، ص 298.

الفصل الثالث

الشعر في مواجهة الهيمنة

1- مجموعة آخر الأشعار بابلو نيرودا

1-1- نبذة عن حياة الشاعر

2-1- التعريف بمجموعة آخر الأشعار

1- 3- خصائص الديوان الفنية

4-1- مضامين مجموعة آخر الأشعار

2- قصيدة ساعة الصفر أرنستو كاردينال

2-1- لمحة عن مسيرة أرنستو كاردينال

2-2- ملامح شعر أرنستو كاردينال

2-3- فصول قصيدة ساعة الصفر

1. مجموعة آخر الأشعار بابلو نيرودا

1.1- بابلو نيرودا الشاعر المناضل الإنساني:

بابلوا نيرودا شاعر الشيلي «وصوتها المتدفق أو بالأحرى صوت الإنسانية قاطبة»[1]، واسمه الحقيقي **ريكاردو إليسير نيفتالي رييس باسوالتو Ricardo Eliece Neftali Reyes Basoalto** ، ولد عام 1904 وسط الشيلي، أحب المطالعة منذ حداثة سنه، فكان منكبا على مطالعة كل ما تقع عليه يداه، «كنت آخذ بالنمو جسما وعقلا، وراحت كثير اهتماماتي إلى الكتب، وراحت روحي عبر مناطق الحلم في حماسة»[2]ومما زاد في خيال الشاعر وإحساسه المرهف هيامه بالطبيعة الخلابة والمتنوعة في بلاده، فقد كان يصحبه أبوه الذي يشتغل سائق قطارات في رحلاته الطويلة عبر الجبال والغابات والصحاري في الشيلي، فكانت الطبيعة واحدا من مصادر إلهام الشاعر زيادة على مغامراته العاطفية في صباه، « ربما كان الحب والطبيعة منذ مطلع حياتي هما فلزات شعري» [3].

التقى الشاعر **نيرودا** بالشاعرة الشيلية الكبيرة **غابرييلا ميسترال Gabriela Mistral** (1889-1957) صاحبة نوبل للآداب 1945 حينما قدمت إلى البلدة التي يقطنها **نيرودا** لتعمل مديرة للمدرسة الثانوية للبنات، وكانت تزوده بالكتب والروايات من الأدب الروسي خاصة،« وفي كل مرة آراها كنت أفرح وأنا أحمل كتبا تهديها إلي، مجموعة من الروايات الروسية »[4] لعمالقة الأدب الروسي ك**تولستوي** و**دوستويوفسكي** و**تشيكوف.**

التحق **نيرودا** بالجامعة وأكب على دراسة اللغتين الفرنسية والانجليزية مما قربه أكثر من منابع الأدب الأوربي، فاطلع على أعمال كبار الأدباء أمثال **بودلير**، و**مالارمييه**، و**رمبو**، **وبول فاليري**، و**والت وايتمان**، و**إدغار بو**، و**ت.س إليوت**، وهناك كتب الكثير من أشعاره

---

[1]- عبد الله حمادي، بابلو نيرودا شاعر الشيلي الأكبر (مقاربة نقدية)، الطبعة 3، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص13.

[2]- بابلو نيرودا، مذكرات بابلو نيرودا (أعترف بأنني عشت)، ترجمة وشرح محمود صبح، الطبعة 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، يوليو 1978، ص 19 .

[3]- المصدر نفسه، ص 21.

[4]- المصدر نفسه، ص 33.

«كنت أشتغل في غرفتي، أكتب عدة قصائد في اليوم، أتناول طاسات من الشاي لاتنتهي»[1].

بدأ الشاعر حياته النضالية عندما انظم إلى اتحاد الطلبة وكان مراسلا صحفيا لمجلته المسماة الوضوح Claridad، وهناك تعرف على أبرز الوجوه النضالية في الشيلي المحكومة من قبل أقلية فاسدة، في حين كان الشعب يعيش فقرا فضيعا وكان الشاعر واحدا منهم، وفي سنة 1920 اختار لنفسه اسم **نيرودا** [2]*، وهو الاسم الثاني لشاعر تشيكوسلوفاكي صادفه الشاعر صدفة في إحدى المجلات فاتخذه اسما له ليخفي حقيقته عن والده الذي لم يرغب أن يكون ولده شاعرا[3]، في سانتياغو العاصمة الشيلية تعرف الشاعر على كثير من الشعراء الشيليين الشباب والشيوخ فكان لاحتكاكه بهم إثراء لتجربته الإبداعية وصقلا لمواهبه الشعرية.

عمل **نيرودا** في السلك الدبلوماسي لبلاده في الخارج منذ 1927 بداية في رانغون عاصمة برمانيا وهي المحطة التي تعرف فيها على الشرق الأقصى وثقافته، ثم عمل في إسبانيا وهناك سيحتك بالحركة الأدبية الإسبانية، وسيستفيد من تجربتها، وثمة يكتب قصيدته الشهيرة إسبانيا في القلب سنة 1937 يدين فيها الحرب الأهلية التي تسبب فيها الجنرال **فرانكو**، ومن إسبانيا يكلف بمهمة دبلوماسية في فرنسا ثم إيطاليا وغيرهما، زار الشاعر الكثير من بلدان المعسكر الشرقي سابقا وخاصة الاتحاد السوفياتي والصين، وكانت أسفاره بمثابة اكتشاف لعالم واسع وثقافات شتى يتعرف عليها لأول وهلة، ويعايش فيها آلام الناس وأحوالهم، « بينما تطارد الأغاني الجديدة والأناشيد الجديدة، فإن مليونا من البشر يفترشون الدروب ليلة بعد ليلة، ينامون في العراء في ضواحي بومباي، ينامون، يولدون، يموتون، لا دار ولا خبز ولا دواء...»[4].

اعتنق **بابلو نيرودا** الشيوعية مؤمنا بأنها المنقذ الحقيقي والحل النهائي لكل المشكلات الإنسانية، فكانت له صداقات مع أبرز زعمائها السياسيين أمثال **أرنستو تشي غيفارا** و**فيدال**

[1]– المصدر السابق، ص 48.

[2]– اسم الشاعر التشسيكوسلوفاكي هو جان نيرودا Jan Neruda (1891–1934) .

[3]– انظر عبد الله حمادي، بابلو نيرودا شاعر الشيلي الأكبر(مقاربة نقدية)، ص 32 .

[4]– بابلو نيرودا، مذكرات بابلو نيرودا (أعترف بأنني عشت)، ص 177 .

كاسترو، وكان معجبا بالاتحاد السوفياتي إلى حد الافتتان، فانظم إلى صفوف الحزب الشيوعي الشيلي سنة 1945 ومن ثم تولد كرهه للإمبريالية العالمية والرأسمالية الجشعة ممثلة في حكومات الولايات المتحدة الأمريكية، « فإذا ما تذكر الإمبريالية الأمريكية وأموال بلده المهربة عبر الحدود مع رجالات الشركات الاحتكارية الأمريكية فإنه يصب جام غضبه عليهم »[1]، وتولد عن بغضه لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية في العالم وفي أمريكا اللاتينية بغض أكبر لرئيسها **ريتشارد نيكسون*** **Richard Nixon** الذي حكم ما بين (1969 و1974)، « فشخصية نكسون كانت بالنسبة له مقرونة دوما بشخصية هتلر »[2]، ولذلك عمل ما في وسعه لفضح سياسات أمريكا والتنديد بأفعالها الشنيعة في الفيتنام وغيرها من بلاد العالم، وفي سنة 1971 ينال الشاعر جائزة نوبل للآداب، ويستقبل في الشيلي استقبال الأبطال بعد عودته مظفرا بالجائزة من قبل الرئيس **سلفادور أليندي**** **Salvador Allende** الماركسي الاتجاه الذي ستشن الولايات المتحدة عليه حملة شرسة لإسقاطه بتواطؤ من المتآمرين والخونة من الداخل الشيلي والأحزاب اليمينية بقيادة **أغوستو بينوشي***** **Augusto Pinochet**، وبعد ذلك بقليل يموت **نيرودا** مريضا محبطا من الانقلاب على الشرعية الديمقراطية في بلاده سنة 1973، من أشهر أعماله الشعرية: شفقيات 1923، عشرون قصيدة حب وأغنية يائسة 1924، وفيهما موضوعات غزلية رومنسية وسريالية تمثل فترة الشباب، أما ديوانه مقام في الأرض 1935 فإنه يعتبر المنعرج الحاسم في حياة **نيرودا** الفنية والإديولوجية وفيه يظهر متأثرا بشعراء الطليعة الإسبان أمثال

---

[1]– عبد الله حمادي، بابلو نيرودا شاعر الشيلي الأكبر(مقاربة نقدية)، ص 43.

* – ريتشارد نيكسون (1913–1994) شهدت فترة حكمه حرب الولايات المتحدة على الفيتنام التي أثارت استنكار الرأي العام العالمي والأمريكي.

[2]– المرجع نفسه، ص 43.

** – سلفادور أليندي (1908–1973) حكم الشيلي ما بين (1970 و1973) أطاحت به الولايات المتحدة لأنه شيوعي التوجه يهدد مصالحها في الشيلي .

*** – أغوستو بينوشيه (1915– 2006) حكم الشيلي حكما عسكريا فرديا من (1974 إلى 1990) بعد أن ساعدته الولايات المتحدة على إسقاط نظام سلفادور أليندي المنتخب ديمقراطيا .

غارسيا لوركا* **Garcia Lorca** و**رفائيل ألبرتي**** **Rafael Alberti** كما دافع فيه عن الحركة الشعبية ذات الميول الشيوعية في إسبانيا وأدان اليمين الفاشي بقيادة الجنرال **فرانكو**، « وهكذا يهجر موضوعاته القديمة موضوعات الشك والقلق الميتافيزيقي ويكشف محورا جديدا للجاذبية :الإنسان في صراعه الاجتماعي»[1]، أما ديوانه الرائع النشيد الشامل 1950 فإنه يمثل صفوة أعماله، وفيه يتغنى بأمريكا اللاتينية في كل شيء، وهو مزيج من الشعر الغنائي والتعبير الملحمي، وفي سنة 1970 يصدر له ديوانه السيف المشتعل وفيه يواصل مسيرته النضالية من أجل الفقراء والمحرومين في الأرض مبشرا بغد أفضل في ظل حكم الشعب، وعندما عاد **نيرودا** إلى الشيلي متوجا بجائزة نوبل شرع في تأليف ديوانه في الحث على إبادة **نكسون** والإشادة بالثورة الشيلية، والذي سيكون موضوعنا في هذا المقام.

1. 2 – التعريف بمجموعة آخر الأشعار :

بدأ الشاعر تأليف مجموعة آخر الأشعار المعروفة بـ الحث على إبادة **نكسون** والإشادة بالثورة الشيلية بعد تولي الرئيس الشيلي المنتخب ديمقراطيا **سلفادرور أليندي Salvador Allende** الرئاسة وانتصار الحزب الشيوعي الشيلي في الانتخابات الرئاسية والذي خاض جملة من الإصلاحات في المجال الاقتصادي تمثلت أساسا في التأميمات مما أثر سلبا على الشركات الاحتكارية والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية الأمريكية في الشيلي. وفي هذه المجموعة الشعرية طرب الشاعر كثيرا للثورة الشاملة على الأوضاع القديمة، وأيّد بصراحة وبصوت عال الإصلاحات، وندد بأعدائها وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية ممثلة في رئيسها **ريتشارد نيكسون** وشركاتها العاملة في الشيلي المتآمرة مع الانقلابيين، وهي آخر مجموعة شعرية كتبها الشاعر قبل مماته عام 1973.

---

* – فيديريكو غارسيا لوركا (1898–1936) شاعر وعازف بيانو ورسام إسباني من جيل 1927 الذهبي في مسيرة الشعر الإسباني الحديث أعدم رميا بالرصاص من قبل قوات فرانكو أثناء الحرب الأهلية بتهمة الانتماء إلى الجبهة الشعبية التي انقلب عليها فرانكو.

** – رفائيل ألبرتي(1902– 1999) شاعر إسباني من جيل 1927 الذهبي في مسيرة الشعر الإسباني الحديث كان معاديا متعاطفا مع الجبهة الشعبية في إسبانيا أثناء الحرب الأهلية، ساعده بابلو نيرودا على اللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية ثم الأرجنتين .

[1]– محمود علي مكي، (الشعر الإسباني المعاصر في إسبانيا وأمريكا اللاتينية)، ص 202.

تضمنت مجموعة آخر الأشعار أربعا وأربعين قصيدة تراوحت مضامينها بين التنديد بالرئيس الأمريكي وسياسة بلاده في أمريكا اللاتينية والعالم، وتحريضا على رفض الوصاية الأمريكية، وإشادة بالثورة الشيلية والكوبية والفيتنامية، وهجوما على أعوان الإدارة الأمريكية في الداخل الشيلي ممثلة في أحزاب اليمين، وإظهار الحب الشديد والتعلق بالوطن .

افتتح الشاعر مجموعته بمقدمة يشرح فيها الدواعي التي جعلته يؤلف قصائدها، فيقول: «هذا كتاب لم يكتب مثله من قبل، إنه يحث الشعراء القدامى والمعاصرين، الموتى والأحياء على حفر وقائع حرب إبادة جامحة فوق ناصية التاريخ» [1]، ثم يهاجم **نكسون** ويحمله أوزار العالم كلها فهو الذي « طفحت ذنوبه حين أصدر أوامره عقب إبرام اتفاقيات وقف إطلاق النار بالقيام بعمليات قصف جوي لم يعرف تاريخ العالم أكثر فظاعة وتدميرا وجبنا منه »[2]، حدث ذلك أثناء حرب الولايات المتحدة الأمريكية على الفيتنام بين (1956و 1975)، ويحمل الشاعر الرئيس الأمريكي المسؤولية في محاولة الإطاحة بالثورة الشيلية بتأجيج الثورة المضادة :« ومن أجل هذا عمد إلى استخدام أدوات مختلفة منها ما افتضح أمرها كشبكة الجواسيس الضارة المعروفة باسم (أي .تي . تي)* وغيرها من الشبكات المنتشرة والمندسة في صفوف فاشيي المعارضة الشيلية ضد الشيلي نفسها »[3]، ولذلك حرض الشاعر على: «شده (يقصد **نكسون**) إلى الجدار وعلى ثقبه بالمقاطع الشعرية الثلاثية الأشد فتكا ... وتحويله إلى خرقة يعسر وصفها»[4]، إنها قوة الكلمة التي تعادل قوة السلاح، ثم يؤكد الشاعر على حبه للسلام ومقته للحرب والإرهاب الدولي، ويعرج على وصف الواقع اللامستقر الذي تعيشه الشيلي بسبب المعارضة الليبيرالية والمدعومة من الجانب الأمريكي التي راحت تمارس كل أشكال الإرهاب باغتيال القادة السياسيين والعسكريين ورموز الثورة الشيلية الفتية، ومنهم الجنرال **شنايدر**، كما راح يندد ببعض القضاة الفاسدين في مرافعة تشبه إلى حد بعيد

---

[1]– بابلو نيرودا، آخر الأشعار (في الحث على إبادة نكسون والإشادة بالثورة الشيلية)، ترجمة الطيب الرياحي، الطبعة 3، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1986، ص 5.

[2]– المصدر نفسه، ص 5و6.

* – هي الشركة العالمية للتلغراف والتلفون والتي تعود ملكيتها للولايات المتحدة الأمريكية، ويرمز لها أختصارا بـ: (I.T.T)، انظر: المصدر نفسه، ص 6.

[3]– المصدر نفسه، ص 6.

[4]– المصدر نفسه، ص 6.

مرافعة المحامي أمام هيئة المحكمة، يقول: « لسوف تستفز هذه الجملة بعضهم فيظنون أنني أعرض بهيئة المحكمة الموقرة، وبعد: فإنني لا أعني هذا مطلقا»[1]، ولم ينس الشاعر أن يهدي أشعاره هذه إلى الثورة الكوبية.

3.1 – خصائص الديوان الفنية:

كتب الشاعر هذا الديوان بين سنتي 1972 و1973 قبل وفاته في السنة الثانية، وبذلك كانت هذه المجموعة آخر أشعاره . وفي مقدمته تتضح نوايا الشاعر ومقاصده؛ حيث لم يعر اهتماما لظاهرة انتقاء العبارة وتنميقها، وإنما كان همه الوحيد هو الانحياز إلى هموم شعبه، فنجده يقول: « ينبغي أن أتحول، من وقت لآخر، إلى شاعر بطولي (غنائي) يكون نفعه عاما »[2]،وهو بذلك يعلن صراحة بأنه سيجعل من الديوان ملحمة بطولية في مهاجمة أعداء الثورة الشيلية وأعداء الإنسانية الذين حطموا أحلام الشعوب الحرة التواقة إلى عالم يحفظ كرامة الإنسان، فالشعر عنده: «سلاح قتالي، والشاعر مدين للشعب، والمبدع الأمريكي اللاتيني عليه أن يركز جهده على النضال المناهض للإمبريالية »[3] قصد تحريض الجماهير لرفض الوصاية الأجنبية.

اتبع الشاعر لتحقيق ذلك أسلوبا سهلا شعبيا يكون في متناول فئات الشعب البسيط من عمال وفلاحين وبسطاء، وبذلك تخلص من الأسلوب الأدبي الفخم ومن الموضوعات العاطفية التي بدأ بها مسيرته الأدبية :«أبدا لم أفكر من قبل حين كتبت أوائل كتبي المفعمة بالحزن والوحدة أني مع مضي السنين سأجدني أنشد شعري في ساحات وشوارع ومعامل وقاعات ومسارح وحدائق عامة، لقد حييت وجلت في أنحاء الشيلي كلها أنثر شعري بين أناس شعبي »[4]، توجه **نيرودا** إذًا إلى عامة الشعب الشيلي بعدما تحسس معاناة البسطاء واستشعر همومهم، كيف لا ؟« وهو الذي آل على نفسه أن يكون رسول تلك السواعد التي تثقب الصخر لتخرج منه الأصفر الوهاج بوجوه قد احترقت من اللهب وعفرت بتراب التعب والكدح ومن خلفها صبية زغب الحواصل مأواهم البرد والسموم اللاذعة التي تجتاح الشيلي

[1]– المصدر السابق، ص 8.

[2]– المصدر نفسه، ص 9.

[3]– سيزار فيرناندث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية (قضايا ومشكلات)، ص 197و 198 .

[4]– بابلو نيرودا، مذكرات بابلو نيرودا (أعترف بأنني عشت)، ص 367.

طيلة السنة تقريبا»[1]، وبذلك تمثل الشاعر نفسه موجِّها لهذه السيول الجارفة من الناس الحالمة في عيش أفضل، فتغلبت على قصائد الديوان النزعة الخطابية التحريضية لدحر الأعداء وإفشال مخططاتهم، ومساندة الثورة الشيلية الشعبية التي تمثل الأمل في الخلاص من المآسي، يقول في قصيدة إني أحذر دوما:

- في هذا الإعصار الجهنمي
- شد القبضات أيها الشعب
- و ادفع الشر[2].

وعندما يتيقن بأن الخطر يحدق بالشعب ويكاد يعصف بثورته في غفلة من هذا الأخير أو عدم اكتراث، يكرر الدعوة للمجابهة والتصدي، فالثورة مسألة حياة أو موت، يقول في قصيدة إني أحذر مرة أخرى:

- هي ذي إشارة الخطر
- إني أعطي الإنذار
- إلى الشعب المنتصر :
- ينبغي الجمع بين القوة والثقة
- فشيلي هي معركة الوجود
- معركة حب، ومعركة شرف[3].

تتسم لغة **نيرودا** في عمومها بالقوة والعنف عندما يكون الكلام عن الأعداء، فهو يختار من الألفاظ والكلمات ما يعبر عن شدة غضبه وحنقه من المتربصين بالوطن وخاصة الرئيس الأمريكي **نكسون** وأعوانه من أعداء الداخل، وتتغير حدة هذه اللغة عندما يكون الخطاب موجها إلى أفراد الشعب الشيلي فتصير لغة مفعمة بالود والاحترام والإكبار، ولما يكون الموضوع هو الشيلي يتحول الشاعر العنيف إلى العاشق الولهان المتيم بحبه لهذه الأرض التي أنجبت الأبطال قديما وحديثا والتي هام بجمال طبيعتها منذ طفولته حينما كان يصحب

[1]– عبد الله حمادي، بابلو نيرودا شاعر الشيلي الأكبر(مقاربة نقدية)، ص 28.

[2]– بابلو نيرودا، آخر الأشعار (في الحث على إبادة نكسون والإشادة بالثورة الشيلية)، ص 95 .

[3]– المصدر نفسه، ص 96 .

أباه في أسفاره الطويلة عبر القطار، فينتقي من الكلمات ما يعبر عن صدق مشاعره تجاه هذه الأرض إذ يقول في قصيدة التيروفيري يعود إلى الوطن معبرا عن شدة تعلقه بالوطن:

- ما كان وطني الذي قُد من ثلج
- وساتان
- مادة عابرة عندي
- وإنما جرحا أليما في لحمي
- أو قمرا تائها في سماء الريف
- لقد ضربت بجذوري في جبالك
- يا شيلي
- ثم أزهرت في السلاسل الجبلية [1].

يظل **نيرودا** بذلك متقلبا بين الأسلوب المباشر التقريري والأسلوب الأدبي الأنيق المفعم بالخيال والصور تبعا للموقف والحالة.

4.1- مضامين مجموعة آخر الأشعار:

أ- الحرب على نكسون:

يشن الشاعر في مجموعة آخر الأشعار حربا لا هوادة فيها على الرئيس الأمريكي **ريتشارد نكسون**، فيظهر حنقه الكبير عليه لأنه رمز الاستغلال والجبروت في العالم، وخاصة في وطنه الشيلي، ويبدي رغبته الجامحة في القضاء عليه وتمزيقه شر تمزيق لعله يشفي بذلك غليله، ففي قصيدة أبدأ بالابتهال إلى **والت وايتمان**[2]*' يناجي شاعر أمريكا **والت وايتمان** داعيا إياه إلى القضاء على الرئيس **نكسون** بإطلاق أبيات من الشعر تكون بمثابة طلقات الرصاص الواحدة تلو الأخرى لإبادة هذا المجرم، فيقول:

- في بلادي

---

[1]- المصدر السابق، ص 34.

[2]- والت وايتمان: 1892-1819)) Walt Whitman شاعر أمريكي، عرف عنه إيمانه بالديمقراطية، ورفضه لكل أشكال التعصب والفاشية والدكتاتورية، من أشهر أعماله أوراق العشب وقرع الطبول .أنظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.ar.wikipidia.org بتاريخ:09/ 2014/10 الساعة: 11:53.

- وبدافع حبي لها
- أناديك أنت، أخي الذي لا غنى عنه
- أيها المحترم **والت وايتمان**
- ذو الأصابع الرمادية
- إذ بمساعدتك الخارقة
- وببيت من الشعر
- نبيد **نكسون**
- هذا الرئيس السفاح [1].

ومن شدة انزعاجه من هذا الرئيس الذي راح يشن الحروب على الشعوب الآمنة في بلادها يأبى الشاعر ذكر اسمه حتى لا يلوث به بياض أوراقه، يقول في القصيدة ذاتها:

- إن القلم يمتنع عن كتابة الاسم المزعج
- جزار البيت الأبيض
- والورق يأبى تدوينه [2].

يتكرر هذا الحنق والغضب الشديد في عدد من القصائد في هذه المجموعة، فنجد الشاعر يذكر جرائم الرئيس **نكسون** في الشيلي والعالم في قصيدة، أقول وداعا للمسائل الأخرى، حيث يقول:

- هذا الرئيس الذي يسرق النحاس
- من الجمارك الشيلية
- وينزع أمعاء الأبرياء في فيتنام [3].

يصف الشاعر الرئيس **نكسون** بأبشع الصفات والنعوت، ويسميه بأحقر الأسماء، فتارة هو الحشرة، وأخرى هو اللص، ثم هو السفاح، والجلاد الرهيب، الجاهل، ابن آوى، المجرم، المعتوه، السافل، صاحب اليدين الملطختين، المجنون،

[1]– بابلو نيرودا، آخر الأشعار (في الحث على إبادة نكسون والإشادة بالثورة الشيلية)، ص 14.

[2]– المصدر نفسه، ص 15.

[3]– المصدر نفسه، ص 16.

الجرذ ... هي صفات وأسماء تثير الاشمئزاز، فيها إدانة واضحة للذي يمثل أعظم دولة في العالم، ويبدو أن هذه العظمة تقوم على سرقة أموال الشعوب واستغلال مواردها، ففي قصيدة انتصار ينبري الشاعر فاضحا سياسة الولايات المتحدة في الشيلي التي تدعم العملاء من الرؤساء لأجل الإبقاء على مصالحها، وبالتالي تقويض قوى الوطنيين الحقيقيين الذين يحرصون على استرجاع الثروات المنهوبة وتأميمها لصالح الشعب، وبذلك تمارس الولايات المتحدة الحصار على هؤلاء الوطنيين وتجيش لهم العملاء والمأجورين للإطاحة بهم، فيقول:

- ولكن **نكسون**
- هذا الجرذ المتعود على أكل الجبن
- الحانق على وطني
- والمتطلع إلى خرابه
- قد أوقف بخداع
- تعامله مع **إدواردو**
- فغيّر السفير والجواسيس
- وأحاطنا بالأسلاك الشائكة
- واعترض على سوقنا المستقلة
- حتى تموت أمتنا جوعا[1].

لا يفوت الشاعر أن يندد بسياسة الولايات المتحدة القائمة على ممارسة الإرهاب في مواجهة أعدائها وخصومها ومن تراهم خطرا على مصالحها الاستراتيجية، كما فعلت مع الرئيس الشيلي المنتخب ديمقراطيا الذي أمم ثروات البلاد لصالح الشعب وطرد الشركات المتعددة الجنسيات، فكانت النتيجة اغتيال الوطنيين والأحرار ورموز الثورة الشعبية. ويتجلى هذا التنديد في عديد القصائد، وخاصة قصيدة الميراث:

- هكذا يحكم العم سام الحقير
- يدعمه القتلة من على طائراتهم

[1]– المصدر السابق، ص 27 و28.

- وتدعمه الدولارات الخضراء الموزعة
- على البوليتيكارتيين
- و المتواطئين [1].

لا ينسى الشاعر كل الشعوب التي نالها من عنت الولايات المتحدة ممثلة في رئيسها **نكسون** كشعب فيتنام وكوبا اللذين وقفا شوكة في حلق هذا الجبار الطاغي في الأرض، فما كان منه إلا أن مارس عليهما كل غطرسته وجنونه، فألقى القنابل بكل همجية على الأبرياء فأحرق الأخضر واليابس، ومع ذلك انتصرت إرادة الشعوب المظلومة وانكسر الجبار، فكان انتصار الشعبين بارقة أمل لبقية الشعوب في الأرض لكي تمحق الأعداء، يقول الشاعر في قصيدة كوبا دائما:

- أينما ذهبت
- وأينما كنت يا **نكسون**
- فكوبا لن تغفر لك
- وستظل فيتنام وكوبا
- مثالنا في مواجهة
- اعتداءات زماننا هذا
- وستدافع شيلي مدعومة بأخواتها
- شأنها شأن هذين الشعبين الجسورين
- عن كرامتها الثورية الحقيقية [2].

ب-التشهير بالشركات الأمريكية الاحتكارية في الشيلي :

لا يخفى على الشاعر **بابلو نيرودا** وهو السياسي المحنك الذي جال البلاد طولا وعرضا أن يقف على الدور التخريبي للشركات الأمريكية التي تحتكر ثروات الشيلي، وتساند أعداء الثورة، وتحرض على إسقاط نظام الحكم الذي اختاره الشعب، ففي قصائد عدة من هذه

[1]- المصدر السابق، ص 30.

[2]- المصدر نفسه، ص 58.

المجموعة الشعرية يفضح الشاعر هذا الدور الذي تقوم به شركة بيبسي كولا الأمريكية لإسقاط نظام حكم **أليندي** بعد أن طردت من الشيلي مستعملة في ذلك وسائل الإعلام التي تمولها وتسيطر عليها، وعملاءها من السياسيين الشيليين، ففي قصيدة يوميات الببغاوات يقول:

- وامتدحوا من نيويورك
- من طرف وكيل شركة بيبسي كولا *
- الذي تصرف مثل جندي حقيقي
- وهو يهرب بماله
- مسدل الذيل
- ويتبجح كل يوم بجريدته المركوريو
- إذ يملي عليه نيكسون افتتاحيتها
- إنها جريدة شيلية، رحماك يا رئيسة الدير
- يا لها من وقاحة [1].

يدين الشاعر في قصيدة أخرى شركة الاتصالات الدولية الشيلية المملوكة من الولايات المتحدة الأمريكية التي تنطق اختصارا (أي، تي، تي) التي راحت تروج للإضراب عن العمل بالاتفاق مع أرباب العمل الذين راحوا يكدسون السلع في مخازنهم حتى يجوع الشعب، ويثور على حكومته نكاية في حكومة الشيلي الوطنية اليسارية، فيقول في قصيدة الإضراب الغرامي لأرباب العمل:

- وهكذا بمساعدة أي تي تي
- ينشرون جامحين الرعب المنظم
- إخوة وأعمام
- في السوق السوداء القاتمة
- اندفعوا جميعا ضد الوطن

* – بحسب المترجم فإن المعني هو أغسطين إدواردز رئيس فريق أصحاب البنوك الذي يحمل اسمه ومالك ومؤسس محطة مركوريو، وهو وكيل شركة بيبسي كولا، أنظر المصدر السابق، ص 86.

[1] – المصدر نفسه، ص 86.

- إضراب الحمير
- إضراب مكتنزي الخدود
- يخفون البصل والسمك المعلب
- يخفون الزيت والسجائر
- والقدر والطحين
- تاركين الشعب والوطن
- المطعونين بأيديهم
- دون نور دون خبز
- و دون أي شيء[1].

ج- إدانة المعارضة الشيلية المتآمرة مع العدو:

يتهم الشاعر صراحة المعارضة الشيلية بكل أطيافها بالتورط في التخابر مع الأجنبي والمساهمة في إضعاف الجبهة الوطنية والوقوف ضد الإصلاحات التي بادرت به حكومة **أليندي**، وينكر عليها الانسياق لتوجيهات الولايات المتحدة الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية، فيصف الأحزاب المعارضة بالحشرات الطفيلية التي لا تقتات إلا على القذارة وليست مهمتها سوى نشر الأوبئة والأمراض وامتصاص الدماء، كما يتهمها بزعزعة استقرار البلاد بتمويل العمليات الإرهابية الدموية في الشيلي، هذا ما نقف عليه في قصيدة الحشرات الطفيلية القذرة تعود إلى الحياة:

- طرأت الأوضاع الصعبة
- وأحاطت الحشرات الطفيلية القذرة
- خلال عصيانها
- في محيط الزبل والمعارضة
- بجميع مرشحيها اللامبالين
- من كذابين ونمامين وقتلة
- و حمقى

[1]- المصدر السابق، ص 89 و90.

- كي تعثر أخيرا على تكتيك انتهازي
- هناك خطر شيوعي في الشيلي
- ثم تحالفت، وهي تتبادل القبل المخيفة
- المومياء المسيحية
- و المومياء الحانقة
- عبر الإعلان والرشاش
- ضد الشعب وضد **الليندي** [1]

ولهذه الأسباب كلها يدعو **بابلو نيرودا** الشعب الشيلي إلى الالتفاف جميعا لسحق الأعداء والحفاظ على مكتسباته، ومواجهة الإعصار الذي يهدد الثورة الشيلية الشعبية، نلمس ذلك في قصيدة إني أحذر دوما:

- في هذا الإعصار الجهنمي
- شدّ القبضات، أيها الشعب
- وادفع الشر [2]

وللشاعر يقين بأن الشعب سينتصر لأن قضيته عادلة إنسانية، وأن الإنسان الشيلي لم يرضخ يوما لحكم الطغاة المتجبرين، وهذه الفكرة هي التي يختم بها الشاعر مجموعته الشعرية هذه، في قصيدة نحن نردد نفس النغم:

- شيلي
- التي لم يحكمها ملك قط
- وحتى لو هوجمت
- حتى لو اعتدي عليها
- بلادي، شيلي،
- فإنها لن تختنق

[1]– المصدر السابق، ص 84.

[2]– المصدر نفسه، ص94، 95.

- ولن تخضع لهيمنة الأجنبي[1] .

وخلاصة القول، إن **بابلو نيرودا** في مجموعته الشعرية هذه صب جام غضبه على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الشيلي، والتي تقوم على الاستغلال البشع للثروات الوطنية مستعملة في ذلك كل الوسائل التي تمكنها من تقويض الثورة الشعبية الشيلية، التي كان هدفها استعادة الكرامة الإنسانية والثروات الوطنية، كما ندد بالتدخل الأمريكي في شؤون الشعوب المسالمة ووقوفه دوما مع الطغم الحاكمة في تناقض صارخ مع القيم الإنسانية الحقيقية التي تتوق إليها الأمم، كما لم يفت الشاعر في هذا المقام أن يشيد بانتصار الثورتين الفيتنامية والكوبية اللتين لقّنتا العدو درسا في الوطنية والفداء، ومرغتا أنفه في التراب، وبذلك تكونان نبراسا واضحا لكل الشعوب التوّاقة للتحرر من هيمنة الأجنبي .

[1]– المصدر السابق، ص 104 و105.

2- قصيدة ساعة الصفر أرنستو كاردينال

1.2- لمحة عن مسيرة أرنستو كاردينال:

ولد الشاعر **أرنستو كاردينال** في غرانادا (غرناطة) النيكاراغوية سنة 1925، ودرس الأدب في العاصمة ماناغوا ثم في المكسيك ما بين عامي 1942 و1946، سافر بعدها إلى عديد الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة بين 1946 و1950، عاد بعد هذه الجولة إلى نيكاراغوا ليشارك في المحاولة الانقلابية على الدكتاتور **أناستازيو سوموزا Anastasio somoza Garcia** سنة 1954، لكن المحاولة باءت بالفشل، ففر كاردينال إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واشتغل بدراسة اللاهوت، وفي سنة 1965 يعود إلى البلاد قسيسا، ويقيم في بحيرة نيكاراغوا، وهناك يعمل على توعية الفقراء والفلاحين للثورة على الدكتاتورية، وعندما اندلعت ثورة 1967 للإطاحة بدكتاتورية **سومزا ديبايلي Anastasio Somosa De Bayle** طورد الشاعر، ففر إلى كوستاريك، وظل متنقلا بين أوربا وأمريكا اللاتينية مسؤولا إعلاميا للجبهة الساندينية للتحرير الوطني التي ستحرر البلاد من حكم آل سوموزا عام 1979، عين الشاعر وزيرا للثقافة في الحكومة الثورية، ومن ثم بدأ يلمع نجمه في سماء الشعر النيكاراغوي، وفي سنة 1980 يزور البابا **يوحنا بولس الثاني** بابا الفاتيكان نيكاراغوا، ويكون الشاعر في استقباله مع أعضاء الحكومة، وعندما انحنى القس والشاعر الوزير لتحية البابا وبّخه هذا الأخير على تدخله في السياسة أمام الملإ، ثم أصدر أمرا بابويا بتجريد القس **كاردينال** من صفته الدينية، لكن ذلك لم يؤثر في مسيرة الشاعر السياسية والأدبية إلى أن استقال من الجبهة الساندينية احتجاجا على سياسة الرئيس **دانيال أورتيغا Daniel Ortega** الدكتاتورية وطلّق عالم السياسة، وكرس حياته للأدب والفلسفة.

من أشهر أعماله الشعرية: ساعة الصفر 1960، صلاة لأجل مارلين مونرو 1965، النشيد الكوني 1989، حياة في الحب 1997 .تحصل الشاعر على عديد الجوائز اعترافا بقيمة أعماله الشعرية، أهمها جائزة **بابلو نيرودا** للشعر الإسبانو أمريكي 2009، وجائزة الملكة **صوفيا** (ملكة إسبانيا) للشعر الأمريكي اللاتيني 2012 .

2.2- ملامح شعر أرنستو كاردينال:

في دراسة عامة لشعر **أرنستو كاردينال لمحمد عبد الله الجعيدي**، بعنوان: **أرنستو كاردينال** شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)' نقف عند أهم المؤثرات في مسيرة **كاردينال** الأدبية والفكرية، والتي يمكن إجمالها في:[1]

- تأثره بأعمال كبار الشعراء الأمريكيين بحكم إتقانه اللغة الانجليزية، أمثال **عيزرا باوند Ezra Pound**(1885-1972)، والقس **توماس ميرتون Tomas Merton**(1915-1968) صاحب المفهوم الثوري العملي للدين.

- معايشته لشعراء الطليعة في نيكاراغوا، أمثال **خوسيه كورونيل أورتيكو Jose Coronel Urtecho** (1906- 1994) و**بابلو أنطونيو كوادرا Pablo Antonio Cuadra** (1912-2002).

- تأثره بالثقافة الدينية التي اكتسبها من تبحره في الدين المسيحي الكاثوليكي، والتي أكسبته الشفافية في رؤية المستقبل الزاهر الذي ينتظر الشعوب المكافحة والمناضلة من خلال انتصار الخير على الشر، والحق على الباطل، ولذلك كانت نهايات قصائده سعيدة دائما مفعمة بالأمل في حياة أفضل.

- إحساسه المرهف بمعاناة الفقراء والمستضعفين، ومجايلته لأحد أهم الثورات الشعبية في أمريكا اللاتينية ضد الرأسمالية والامبريالية الأمريكية، وهي ثورة **أغوستو سيزار ساندينو**.

وقد تميز شعره – بحسب الدراسة ذاتها – بإيجاز العبارة واستشعار هموم الإنسان المسحوق، كما أدى التزامه بالقضايا التحررية إلى غلبة الأسلوب النثري أحيانا في شعره، وذلك ما يفقد شعره – في كثير من الأحيان- البعد الفني والجمالي، ويجعله قريبا من التصوير السينمائي[2] الذي ينقل الواقع كما هو دون لمسات جمالية، وبذلك جاءت لغة كاردينال أكثر واقعية وألفة قادرة على وصف مختلف أوجه الواقع، فهي ترمي إلى « أن توثّق الواقع وتحرّره بطريقة بصرية دياليكية أكثر مصورة الأشياء والناس والأحداث في ضوء التزام اجتماعي سياسي جلي»[3]،

[1]- انظر: محمد عبد الله الجعيدي، أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)، ص14 .

[2]- المصدر نفسه: ص 25.

[3]- أحمد مرسي، (ارنستو كاردينال شاعر نيكاراغوا الوثائقي) نقلا عن جريدة أخبار الأدب الأدب بتاريخ: 2006/12/24، الموقع الالكتروني جهة الشعر www.jehat.com، بتاريخ: 22/ 10/ 2014، الساعة 20:15.

وهذا الالتزام لم يقتصر على بلده نيكاراغوا بل امتد ليشمل منطقة أمريكا الوسطى كلها ما أكسب شعره بعدا إقليميا وحتى قاريا، وهي سمة أغلب شعراء أمريكا اللاتينية، وبذلك كانت أشعار **كاردينال** من أكثر الأشعار انتشارا في أمريكا اللاتينية في النصف الثاني من القرن العشرين .

2. 3- قصيدة ساعة الصفر :

قصيدة ساعة الصفر تلخص مسيرة **أغوستو سيزار ساندينو** قائد الثورة الشعبية ضد الوجود الأمريكي في نيكاراغوا الحامي للنظام الدكتاتوري، والذي اغتيل من قبل قوات الحرس الوطني النيكاراغوي بقيادة **أناستازيو سوموزا غارسيا**، وقد جاءت القصيدة بعيد فشل محاولة الناجين من ثورة **سيزار ساندسنو** للإطاحة بنظام الجنرال الدكتاتور **أناستازيو سوموزا غارسيا** والتي كان الشاعر واحدا من أفرادها، والتي نتج عنها حملة كبيرة من القمع والملاحقة ضد الساندينيين والجماهير المؤيدة لها، ومن هذه التجربة القاسية ولدت ساعة الصفر إحدى أكبر ملاحم الشعر المقاتل في أمريكا اللاتينية، « إن قصيدة ساعة الصفر كوثيقة تاريخية حية شاهدة على عذاب قارة بأكملها طالعة كما اللهب من عصور الجوع والموت»[1]، ولم يفت الشاعر في هذا الخضم التنديد بدور الشركات الاحتكارية العالمية والأمريكية على الخصوص التي تعمل على استنزاف خيرات الشعوب واستعباد العمال واحتكار التجارة المحلية والعالمية على غرار شركة الفواكه المتحدة[*] United Fruit Company ومثيلاتها، وفيما يأتي بيان وتفصيل لأهم الموضوعات التي تناولتها القصيدة.

أ – وصف الوضع السياسي في أمريكا الوسطى:

تبدأ القصيدة بوصف الجو العام في دول أمريكا الوسطى المشبع بالإرهاب الحكومي ضد الشعوب الثائرة الرافضة للحكم الدكتاتوري القمعي الذي جوع الناس في هذه البلدان مما دفع بالشعوب إلى الاحتجاج على الوضع القائم، فكانت هذه البلدان كالثكنات العسكرية، لاتسمع فيها إلا صفارات إعلان حظر التجول، يقول **كاردينال** في مطلع القصيدة:

---

[1]– محمد عبد الله الجعيدي، أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)، ص 39.

[*] – شركة الفواكه المتحدة إحدى أكبر الشركات المتخصصة في تجارة الموز، مقرها الولايات المتحدة الأمريكية، تأسست عام 1899، كانت الدول الأمريكية اللاتينية أهم مناطق نفوذها، وهي رمز الامبريالية الأمريكية من خلال تدخلها المباشر في سياسة دول أمريكيا اللاتينية، المسماة جمهوريات الموز، للمزيد انظر موقع ويكيبيديا www.wikipidia.org، بتاريخ 2014/12/15، الساعة 21:29 .

- أمريكا الوسطى لياليها استوائية
- بحيرات وبراكين تحت القمر
- أضواء قصور رئاسية
- و ثكن وصفّارات حظر تجول حزينة
- وخُوّذ الحديد الصلب تَعُسّ الشوارع[1]

يخص الشاعر بالذكر أربع دول يتشابه فيها الوضع السياسي، هي: غواتيمالا التي يحكمها **خورخي أبيكو**[**] **Jorge Obico Castanid** ، والسلفادور بقيادة **ماكسيميليانو مارتينيز**[***] **Maximiliano Hérnandez Martinez**، والهندوراس التي كان يحكمها **تيبورسيوكارياس أندينو**[****] **Tiburcio Carias Andino**، ونيكاراغوا التي كانت تحت سيطرة **أناستاسيو سوموزا**، هؤلاء الأربعة حكموا بلدانهم بالحديد والنار، وكانوا يحرصون كل الحرص على البقاء في عروشهم، وقمع كل أشكال المعارضة بالاستعانة طبعا بالحليف الاستراتيجي للأنظمة العسكرية الولايات المتحدة الأمريكية، يصفهم الشاعر، ويركز في هذا الوصف على إظهار أشكال العنف والقمع التي تمارس على الشعوب بأوامر من هؤلاء القادة، فيقول:

- **أبيكو** في قصره كدمية متوردة
- يقول، وهو يدخن سيجارة
- كم من مرة بينما كنت أدخن سيجارة
- أمرت بقتل إنسان
- **أبيكو** مصاب بالزكام
- الشعب في الخارج يفرق بالقنابل الفسفورية
- سان سالفادور[*]

---

[1]– محمد عبد الله الجعيدي، أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)، ص 43 .

[**]– خورخي أوبيكو كاستانيدا: (1887– 1946) حاكم عسكري غواتيمالي صنيعة الولايات المتحدة الأمريكية، حكم البلاد حكما عسكريا دكتاتوريا من (1931 إلى 1944).

[***]– ماكسيميليانو هيرناندير مارتينيز (1882– 1966) حكم السلفادور ما بين (1931 إلى 1941).

[****]– تيبورسيو كارياس أندينو(1876 – 1969) حكم الهندوراس من (1933 إلى 1949).

[*] – سان سلفارور: عاصمة جمهورية السلفادور.

- تحت جنح الظلام والتجسس
- بالهمسات في المنازل والفنادق
- و صرخات في مراكز الشرطة
- قصر كارياس مرجوم من قبل الشعب
- إحدى نوافذ مكتب القصر كسرت
- فأطلقت الشرطة النار على الشعب
- وماناغوا** مصوبة نحوها المدافع الرشاشة .[1]

ب – التنديد بالدور التخريبي للشركات الأمريكية :

في المقطع الموالي يركز كاردينال على حال المزارعين والفلاحين في السلفادور – قبل أن يتولى قيادتها **ماكسيميليانو مارتينيز** – حين كان الفلاحون يجنون ثمن عرقهم من مزارع الموز، ويعودون به إلى بيوتهم ليسعدوا به أولادهم، لكن حالهم سيتبدل وسيصيبهم الإفلاس، لأن رئيسهم رهن البلاد لشركة الفواكه المتحدة الأمريكية مدة تسع وتسعين سنة مقابل ضمان بقائه على هرم السلطة في البلاد، ويروح الشاعر يعدد أسماء شركات استثمارية كثيرة كانت كل واحدة قد اقتطعت لها قسمة من كعكة الجنرال اللذيذة، يقول:

- ولكن يونايتيد فروت كمبانبي جاءت
- جاءت بثرواتها من أجل الحصول على امتيازات
- و شروط الشركة أن تعاد المزارع
- للأمة بعد تسع وتسعين سنة [2]

ولكي تحتكر شركة الفواكه المتحدة تجارة الموز تمتنع عن شراء الموز من المزارعين بثمنه الحقيقي، وتفرض عليهم ثمنا أقل، وعندما يمتنعون، تسرح عمال مصانع التحويل الصغيرة، فتتفشى البطالة، ولكي تفرض عليهم السعر الذي تريد تحاصرهم برشوة الحكومة ومجلس النواب ليقبل الفلاحون بالثمن المقترح من قبل الشركة، وبذلك يقعون في الإفلاس، ويعجزون

** – ماناغوا: عاصمة جمهورية نيكاراغوا.

[1] – المصدر نفسه، ص 43.

[2] – المصدر نفسه ، ص 43.

عن تسديد ديونهم لدى البنوك الدائنة، فيبيعون أراضيهم، ويهجرون مزارعهم لتستولي عليها اليونايتيد والأجانب، يقول:

- اليونايتيد لم تعد تشتري الموز
- في بورتو ليمون تطرد العمال
- وتقفل المصانع الصغيرة
- الكل عاجزون عن دفع الديون
- والموز في عربات القطار يفسد
- بدل الأجور العمال يُعطون قسائم
- بدل الدفع ديون
- فالمزارع مهجورة لأنها لم تعد ذات فائدة
- للفلاح، من ثمة معطاة للجاليات الرعاع [1]

لا تكتفي هذه الشركات المعتدية بإفلاس البلاد اقتصاديا بل تفلسها سياسيا، فهي من تتحكم في مصير الرؤساء، وهي من تشعل الحروب بين الدول ثم توقفها عندما تشاء تبعا لمصالحها، وفي ذلك يقول **كاردينال** :

- هكذا شخص **كسام تيموراي** [*] عين رؤساء في
- هندوراس
- افتعل نزاعات على الحدود بين غواتيمالا
- وهندوراس[2]

ج – مولد الثورة الساندينية:

إنه تاريخ حافل بالاستغلال والعجرفة وبالتواطؤ مع خونة البلاد والعملاء الذين يدعون الوطنية، ويتهمون خصومهم بمعاداة الوطن، ومن هذه الأجواء الفاسدة تولد الثورة التي

[1]– المصدر السابق، ص43 و44.

[*] – سام تيمورّاي: رجل أعمال تركي كان له نفوذ كبير في هندوراس، اشترى أسهما في اليونايتد كومبانى، ومن ثم أصبح حاكم مدينة بوستن الأمريكية، انظر موقع ويكيبيديا www.wikipidia.org، بتاريخ 2014/12/15، الساعة 21:54 .

[2]– محمد عبد الله الجعيدي، أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات منه)، ص 47.

ستصحح المسار، وتعيد الحق لأصحابه، وتحرر البلاد من حفنة المنتفعين والمتآمرين، يستعرض الشاعر بعد ذلك مسيرة الثائر الوطني النيكاراغوي **سيزار ساندينو** الذي جمع خمسة آلاف دولار أمريكي من عمله في إحدى شركات البترول الاستثمارية في المكسيك، ثم يعود إلى الوطن ليشتري قطعا من السلاح القديمة، ويبدأ حرب الكرامة مع تسعة وعشرين رجلا في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية الجاثمة على صدر النكاراغويين، يقول الشاعر:

- نيكاراغوا من نيكونيمو **
- في الخارج كان يعمل
- مع تمبيكو هواستيكا بتروليوم كامباني
- كان يدخر خمسة آلاف دولار
- إنه يجتمع برجاله في تشيبوتي
- تسعة وعشرون رجلا وبه يصبحون ثلاثين
- ضد الولايات المتحدة [1].

يقود ساندينو الحرب ضد الولايات المتحدة بشيوخ وشباب وأطفال من كل أبناء الشعب الفقراء ليس لهم أي معرفة بفنون الحرب، ولا يملكون من المعدات ما يجابهون به قوات المارينز المدججة بالأسلحة والخبراء، إنها الثورة الشعبية التي ستزلزل الأرض تحت أقدام العدو، يقول الشاعر:

- لم يكن عسكريا ولا سياسيا
- والكثيرون من رجاله
- كانوا شبابا
- بقبعات من سعف النخل وصنادل
- أو حفاة مسلحين بأسلحة معطوبة، شيوخا بلحى
- بيضاء، وأطفالا في الثانية عشرة من العمر
- يحملون البنادق

** – نيكونيمو: مسقط رأس الفدائي سيزار ساندينو.

[1] – المصدر السابق، ص 48.

- بيض وهنود ذوي عزيمة قوية
- شقر وسود وسمر بسراويل ممزقة دون مؤونة [1].

هؤلاء الثوار يجمع بينهم الإخاء والمحبة، فلا امتيازات في ثورة الشعب، وذلك سر النصر، يقول **كاردينال** في وصفهم:

- الرتب العسكرية موجودة، لكن الجميع سواء
- دون تمييز عند توزيع الطعام
- واللباس للجميع من نفس الصنف
- والقوّاد لا خدم لهم
- فهم إلى الجماعة أقرب منهم إلى الجيش
- تجمعهم المحبة أكثر مما تجمعهم القوانين العسكرية[2].

د – اغتيال الثورة:

خاض **ساندينو** ورفاقه حرب عصابات ضارية ضد الولايات المتحدة وأعوانها وعملائها في نيكاراغوا، ولم يستسلموا لقصف الطائرات على معاقلهم في الجبال، فكانت الطبيعة حاميهم وملجأهم حتى لكأنها أصبحت واحدا من الثوار، وعندما وهنت قوة الولايات المتحدة، فكرت في إجهاض الثورة بالتآمر عليها بمساعدة الحكام الذين نصبتهم على البلاد، وفي الغرف المغلقة والصالونات المكيفة دارت المؤامرة، فعُرض على **ساندينيو** التفاوض والحوار – وهو الذي لا يعرف الغدر والخداع – فاستجاب، ويصور الشاعر حالة الترقب الملحّ من قبل الولايات المتحدة وأعوانها لوصول **ساندينو** للتفاوض:

- برقية من السفير الأمريكي المستر **لين**
- إلى وزير الخارجية مرسلة من ماناغوا
- في 14 فبراير 1934
- الساعة السادسة وخمس دقائق

[1]– المصدر السابق، ص 49.

[2]– المصدر نفسه، ص 49.

- مسلمة في واشنطن الساعة الثامنة وخمسون دقيقة
- مساء
- عُلم من مصدر رسمي
- أن الطائرة لم تستطع الهبوط في وي ويلي
- وعليه فإن مجيء **ساندينو** سيتأخر[1].

وفي حوار بين قائد الحرس الوطني النيكاراغوي **أناستاسيو سوموزا** المعيّن من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مع السفير الأمريكي، يطلب **سوموزا** الإذن بإلقاء القبض على **ساندينو** بعد أن وصلت المفاوضات معه إلى طريق مسدود، وفيما كان السفير الأمريكي مع الرئيس النيكاراغوي يتناولان القهوة في قصر الرئاسة في انتظار **ساندينو** حتى يتناول معهم وجبة العشاء، وعندما يغادر **ساندينو** قصر الرئاسة يتم اعتقاله ثم إعدامه غدرا بأمر من **سوموزا**، بينما هو يستمتع بحفل راقص، وثّق الشاعر الحادثة بكل تفاصيلها كما كان عليه الأمر في كثير من الحوادث الأخرى، فيقول:

- في الساعة العاشرة مساء ينزلون في سيارة إلى
- ماناغوا
- في منتصف الطريق الحرس يعتقلهم
- ثم توقفت السيارة، وقال لهم أحد الحراس :
- اخرجوا
- فخرج الثلاثة
- وعندما صاح الرجل الأكثع
- أطلقوا النار
- قال سوموثا
- آيْ واز إِنْ أُكَنْسِيرْتُو * (كنت في حفلة)
- وهذا صحيح، فقد كان في حفلة موسيقي[2].

---

[1]– المصدر السابق ، ص 53.

* – هكذا وردت في المرجع، بلغة انجليزية مكتوبة بحروف عربية .

[2]– ƒ!ž‡ ƒ2þ ‡ ÜNJ‡ɜlj 55.

تحزن الطبيعة بكل مظاهرها لموت البطل، فتستحيل بلقعا كأن لم تغن بالأمس، وهذا ليس غريبا، فهذه الطبيعة المتنوعة هي التي حمت الفدائي ورفاقه أثناء ثورتهم، وهي التي أمّنتهم لما كانت الطائرات الأمريكية تقصف معاقلهم في الجبال، وقد صادف مقتل **ساندينو** شهر أفريل، يقول الشاعر في هذا الصدد:

- في أبريل تجف الحقول في نيكاراغوا
- إنه شهر الحرائق في المزارع
- شهر الحر
- مرابع الماشية مغطاة بالجمر
- والربى كلون الفحم
- و الريح لافحة، والهواء منه تشم رائحة الحرق
- و مجاري المياه جافة كالشوارع يقطعها عجاج
- الجرارات
- و أغصان الأشجار جرداء كجذور[1].

لكن موت **ساندينو** لا يعني عند **كاردينال** موت حلمه وحلم أصحابه برؤيتهم البلاد حرة، ينعم فيها أبناؤها بخيراتها وثرواتها التي سلبها الأجانب، فالأمل ما يزال قائما ما بقي الإنسان فستنبعث الحياة في الأرض من جديد، وتنتشر أزهار الربيع معلنة عودة الأمل، إنها الحياة تولد من رحم المعاناة، يظهر ذلك في قوله:

- في مايو تأتي بوادر الأمطار
- فتولد الحشائش الطرية من الرماد
- في مايو تزهر الزنابق في شوارع ماناغوا [2]

هـ – الشاعر شاهد عيان:

وفي المقطع الأخير من القصيدة التسجيلية، يستعرض **كاردينال** حادثة التمرد الذي شارك فيه هو سنة 1954، وكان شاهدا على إخفاقها وعلى ما لحق بأصحابها من قبل

1- ƒ!ƺƫƭ ƽƥƬƺ!ƒ ÜŠƕƓƫ!ƒ f 58.

2- ƒ!ƺƫƭ ƽƥƬƺ!ƒ ÜƘƫŠƕ f 58.

أناستاسيو سوموزا وزبانيته من قوات الحرس الوطني، التي كان يكفي ذكر اسمها ليدب الخوف في الجسد، يقول:

- في أبريل قتلوهم
- أنا كنت معهم في تمرد أبريل
- وتعلمت الضرب على الرشاش رايسينغ
- وكان **أدولفو بائيث** بوني صديقي
- طاردوه بطائرات، بشاحنات
- بأضواء كاشفة، بقنابل مسيلة للدموع
- بموجات إشعاعية بكلاب حراسة
- و أتذكر السحب الحمر والقمر الأحمر، فوق بيت
- الرئاسة
- كقطع القطن مشبعة بالدماء [1].

ولا يغفل الشاعر عن التنديد بالموقف الأمريكي الذي كان مؤيدا للدكتاتور العسكري **سوموزا** الذي لم يكن إلا يدها التي تبطش بها، ولذلك زودته بالأسلحة التي يحتاجها للبطش بالساندينيين وبالشعب الأعزل الذي يؤيدهم، يقول:

- ثم أرسلت الولايات المتحدة إلى سوموثا المزيد
- من الأسلحة
- الشاحنة بعد الشاحنة محملة بصناديق الأسلحة
- المختومة بعلامة (AUS) [*]
- أسلحة لاعتقال المزيد من الناس
- أسلحة لمطاردة الكُتّاب[2].

[1]– المصدر السابق ، ص 59.

[*] – الرمز(AUS) هو نفسه (USA) الذي يختصر الولايات المتحدة الأمريكية باللغة الأنجليزية.

[2]- ƒ!ƶ Ţ ƵŇ ţ ƽ ţ j ƽ þ Ţ ƶ ! ƒ f 60.

وعندما يُغتال **أناستاسيو سوموزا** الأب على يد شاعر نيكارغوي ثائر هو الشاب **ريغوبيرتو لوبيز بيريز Rigoberto Lopez Perez** ويخلفه ابنه البكر الذي كان أقل حدة من أبيه، ثم ابنه الأصغر **أناستاسيو سوموزا دي بايلي** – الذي يحب أن يلقب **تاتشيتو**– الأكثر دموية حتى من أبيه لا يفوت الشاعر أن يكشف هوس هذا الدموي بسفك الدماء والتنكيل بالمعارضين وأفراد الشعب، وفي ذلك يقول:

- و **تاتشيتو سوموثا** إلى بيت الرئاسة يصعد
- لكي يستبدل قميصا ملطخا بالدماء بآخر نظيف
- ملطخ بدم وشطة
- في السجن مرة أخرى تنبح الكلاب
- إنه ضجيج بوابة الحديد التي تنغلق وراءك
- وحينئذ تبدأ الأسئلة وتوجيه الاتهامات
- اتهامات بالتآمر يتوجب عليك الاعتراف بها [1].

تكون الولايات المتحدة الأمريكية دائما حاضرة في المشهد الدموي عن طريق دبلوماسييها الذين هم في الحقيقة حكام البلاد الفعليين، فهم لا يفارقون قصر الرئاسة، وبينما هم يشربون الأنخاب مع خدامهم في البلاد في الحفلات التي تقام على شرفهم يئن المعتقلون في زنزاناتهم تحت التعذيب، ويُمزق الثوار والمعارضون أشلاء ولا أحد من دعاة الديمقراطية وحقوق الإنسان يأبه لأنّاتهم، يقول **كاردينال:**

- مستر **هويلان** السفير الأمريكي
- مدعو في احتفال بيت الرئاسة
- المعتقلون في الزنزانات يستمعون إلى الموسيقا
- **أدولفو بائيت بوني**
- **بابلو لَيَالْ** الذي سلوا لسانه
- وزميلي في الدراسة **لويس غابواردي**، أحرقوه
- حيا

1- ƒ!ƒ ƧþTƢ!ƒ Ü٤ℌ٦!ƒ f 61.

- وجه الصبي الذي قبضوا عليه في الليل وهو
- يلصق المنشورات « **سوموثا** لص»
- فجَرّوهُ إلى الجبل وهم يتضاحكون [1].

يظل الشاعر متمسكا بشعاع الأمل لأنه يعلم أنه مهما طال ليل الدكتاتورية فإن التحرر منها آت لا محالة، ولذلك يختم الشاعر قصيدته ختما فيه كثير من التفاؤل والأمل، فيقول:

- لكن البطل يولد عندما يموت
- ومن الرماد تولد الأعشاب الخضر[2].

استطاع الشاعر في قصيدة ساعة الصفر أن يوثق أحداثا تاريخية كان شاهدا في البعض منها على بشاعة الدكتاتورية المدعومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك يسجل رفضه الصريح لسياسة هذه الدولة في دعم الطغاة أعداء الإنسانية ولذلك صح فيه القول: « إن كاردينال شاعر مضاد سيء المزاج وناشز، يشعل فيما هو نثري لهيبا داخليا يثير أضواء أخرى حوله، إنه يسمي الأشياء بأسمائها، ويخلط التاريخ ويغيره، وهو يتصرف بقوة حماسية ثورية »[3].

[1]– المصدر السابق، ص 62.

[2]– المصدر نفسه، ص 64.

[3]– سيزار فرناندث مورينو، أدب أمريكا اللاتينية (قضايا ومشكلات)، ص 64 .

الخاتمة

الخاتمة:

شهدت أمريكا اللاتينية منذ الغزو الإسباني عام 1492 فضائع مروعة ارتكبها الغزاة المحتلون في حق الهنود الحمر السكان الأصليين، مما ولد ردود فعل محتجة على تلكم الجرائم التي اهتزت لها الضمائر الإنسانية الحرة، والتي تجسدت في كتابات بعض رجال الدين المسيحيين وعلى رأسهم القس **بارتولومي دولاس كازا** الذي لم يسكت على ما شاهده بعينيه من اعتداءات، وتقتيل، ونهب للثروات، ونقض للعهود والمواثيق تحت غطاء نشر الدين المسيحي وتخليص الهنود من الوثنية والضلال، فوثّق كل ذلك في رسائله التي كان يرسلها إلى ملك إسبانيا حتى يُعْلِمَه بما يفعله جنوده، وقد حذا حذوه رجال دين آخرون في أقطار مختلفة أجمعوا كلهم على إدانة هذه الفظائع، رغم ما كانوا يلقونه من تضييق واضطهاد.

سيبدأ الاحتجاج على الغزو وجرائمه والانتصار للسكان الأصليين وحضارتهم العتيدة في مجال الأدب إبان القرن السادس عشر مع كتاب **الشروح الملكية** للإنكا **غارثيلاسو دو لا فيغا** المولود لأب إسباني وأم هندية، والذي دافع فيه صاحبه عن الهنود الحمر، ودحض فكرة الهمجية والتخلف التي روجها الإسبان عن هؤلاء حتى يبرروا بها ما اقترفوه من تقتيل ونهب، وقد مزج فيه **دو لا فيغا** بين الخيال والواقع في قالب قصصي، كما ظهرت في هذه الفترة ملحمة لا أروكانا للشاعر الشيلي **ألونسو دو إرسيلا إي زونيغا** – وكان شاعرا مُوَلَّدا هو الآخر– تغنى فيها ببطولات الهنود الشيليين في مقارعة الإسبان.

الملاحظ أن أدب فترة الاحتلال كان قليلا – وخاصة ما تعلق منه برفض الوجود الاستعماري – لكون الأدباء أغلبهم من أصول إسبانية أو من المولدين المنحدرين من أبوين أحدهما إسباني، ولذلك لم يستشعروا عن قرب معاناة الهنود، كما أن أدب أمريكا اللاتينية في هذه الفترة كان تابعا للأدب الإسباني في موضوعاته وأشكاله التعبيرية، فكان أدبا أرستقراطيا يهدف إلى تسلية الأقلية الأرستقراطية، وزيادة على ذلك فإن الرقابة على الإبداع الأدبي والفني من قبل السلطات الاستعمارية بالتعاون مع الكنيسة كانت عاملا آخر ساهم في السكوت على جرائم الاستعمار، ولا يمكن إغفال حالة الجهل والأمية الطاغية على أغلب أفراد الشعب وخاصة الهنود منهم، ولذلك لم تكن لديهم الوسيلة التعبيرية التي تمكنهم من طرح انشغالاتهم إلا ما كان بلغاتهم الأصلية المحاصرة أصلا باللغة الإسبانية التي أصبحت

لغة البلاد الرسمية، كما أن طبيعة التعليم – لمن اتيح له ذلك – كان تعليما دينيا تؤطره الكنيسة التي لم تكن لتسمح بظهور الأفكار التحررية والنزعة الانفصالية .

ظهرت بعض الأعمال الأدبية الشعرية في القرن التاسع عشر– ومع فترة الاستقلال وبعد احتكاك أبناء القارة من الكريوليين بأوربا واستفادتهم من أفكار الثورة الفرنسية ونتائجها – وقد عبر فيها أصحابها عن رغبتهم في التخلص من الوصاية الإسبانية، وتوقهم إلى إنشاء كيانات مستقلة أمريكية الهوية في إطار الثقافة الإسبانية، وذلك ما يتضح في أعمال الكوبي **خوزي ماريا هيريديا**، والإكوادوري **خوزي خواكين أولميدو** الذي صار شاعر الاستقلال بفضل مساندته الصريحة لاستقلال أمريكا اللاتينية ومشروع محرري القارة **سيمون بوليفار** و**خوزي دو سان مارتين**، وهو الذي ناضل معهما في حروب الاستقلال، ومع تنامي الروح التحررية والنزعة الاستقلالية في شتى ربوع القارة زادت الأعمال الأدبية مسجلة حضورها في هذه اللحظة التاريخية المفصلية في تاريخ القارة، فكان العمل الشعري الشهير مارتن فيرو للأرجنتيني **خوزي هيرناندیز**، وفي ظل تيار الحداثة الذي انتشر في أمريكا اللاتينية ظهرت أعمال الشاعر الكوبي **خوزي مارتي** الذي بذل نفسه في سبيل تحرير الوطن من الاستعمار الإسباني، ومع **روبين داريو** النيكاراغوي تتجلى الرغبة الجامحة في التحرر من الوصاية الأجنبية عموما – التي يحملها مسؤولية الوضع البائس الذي تعيشه القارة – ويحذرها في الوقت نفسه من هبّة أبناء القارة الراغبين في الانتقام من الغزاة .

وفي القرن العشرين، ترسخ الشعور بالانتماء القومي إلى قارة أمريكا اللاتينية بكل مكوناتها الثقافية والعرقية، فبرز الشعر الأسود عند **نيكولاس غيين** الكوبي الذي احتج كثيرا على ما يعانيه الزنوج في منطقة الكاريبي – خاصة – من معاملة لا تليق بإنسانيتهم، ودعا صراحة إلى تحريرهم من الاستغلال والعبودية المفروضة عليهم، كما نجد شعر الرفض والاحتجاج على الوصاية الأمريكية، والتدخل في شؤون القارة الجنوبية ماثلا في أشعار **بابلو نيرودا** شاعر الشيلي الذي لم يتوان لحظة في الدفاع عن حق الشعب الشيلي وغيره من الشعوب في العيش بحرية في أرضه بعيدا عن الاستغلال والتدخل في مصيره ملتزما بذلك بقضايا الشعوب المتعطشة للعيش الكريم التزاما طوعيا تمليه عليه إنسانيته وإيمانه بحقوق الفقراء والمستضعفين المنتشرين بكثرة في ربوع القارة، ولا يمكن أن نغفل في هذا المقام أشعار

الشاعر النيكاراغوي **أرنستو كاردينال** الثائر على الدكتاتورية السوموزية المدعومة من القوى الخارجية الطامعة في ثروات البلاد وأمريكا الوسطى .

يلاحظ في أشعار هؤلاء الشعراء المباشرة في التعبير، واستعمال اللغة السهلة، وميلهم إلى كسر القواعد الكلاسيكية للشعر، وإضفاء النكهة الأمريكية اللاتينية على أسلوبها ومعانيها، وإكسابها البعد الإقليمي والقاري المعبر عن الخصوصية الأمريكية اللاتينية، وذلك ما مكن أصحابه من اعتلاء منصات التتويج العالمية .

بدأ النضال الأدبي في مجال الرواية إبان القرن التاسع عشر، وجاء متزامنا مع حركة الاستقلال السياسي، فظهرت أولى الروايات في أمريكا اللاتينية، وهي رواية الببغاء الغاضب للمكسيكي **خوزي خواكين دو ليزاردي**، والتي انتقد فيها المجتمع الاستعماري القائم على الاستغلال المتجرد من كل القيم الإنسانية، وتوالت الروايات – في هذا المجال– مع انتشار الأفكار التحررية القادمة من أوربا متناولة التنديد والاحتجاج على الدكتاتوريات التي سيطرت على أزِمَّةِ الحكم بعد زوال الاستعمار الإسباني، ومن أشهر الأعمال في ذلك رواية فاكوندو للأرجنتيني **دومينغو فاوستسنو سارامينتو** التي احتج فيها على دكتاتورية **خوان مانويل دو روزاس** الذي حكم الأرجنتين حكما استبداديا همش فيه الطاقات الحية في البلاد من مثقفين ومفكرين .

ستظهر الرواية التاريخية مع الثورة المكسيكية في القرن العشرين، وستوثق بذلك الأعمال البطولية التي خاضها الثائرون على الفساد الإداري والاستغلال الذي مارسه الحكام الجدد بعد الاستقلال، وأبرز الأعمال التي مثلت هذا الاتجاه رواية في الحضيض **لماريانو أزويلا** 1916، ثم رواية الحية والعقاب 1928 **لمارتين لويس غوزمان**، والتي التقط فيها أدق التفاصيل المتعلقة بالثورة المكسيكية التي قادها **إميلايانو زاباتا وبانشو فيلا** مع بداية هذا القرن، وبعد الحرب العالمية الثانية ستزدهر الرواية الأمريكية اللاتينية، وستشهد فترة رواجها عالميا – مع الانفجار الهائل لعدد كبير من الأعمال الروائية ذات الخصوصية الأمريكية اللاتينية في إطار الواقعية السحرية – وستركز هذه الروايات على موضوع هام تحكم في يوميات الناس في هذا الجزء من العالم وهو الحكم الدكتاتوري الذي سمم أجواء القارة بتحالفه مع القوى الخارجية الطامعة في خيرات البلاد، فعملت هذه الروايات على التنديد بفظائع الدكتاتوريين وجرائمهم في حق الوطن والمواطن كاشفة بذلك عن الوجه القبيح لهؤلاء الحكام

الذين حكموا البلاد بمنطق القوة والعنف، ومن أشهر الأعمال في هذا السياق السيد الرئيس للغواتيمالي **ميغيل أنخيل أستورياس**، وأرتيمو كروز للمكسيكي **كارلوس فوينتس**، وأسباب الدولة ل**أليخو كاربونتيير** من كوبا، ورواية خريف البطريرك **لغابر**يال **غارسيا ماركيز**، وصولا إلى رواية حفلة التيس **لماريو فارغاس يوسا**.

هؤلاء الأدباء وغيرهم تفاعلوا مع هموم الناس فحاربوا الحكم الدكتاتوري، ونددوا بالتدخل الخارجي في شؤون أوطانهم، وبذلك يكون أدب أمريكا اللاتينية قد ساهم بدوره في تحرير دول القارة من الهيمنة الأجنبية والدكتاتورية العسكرية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر :

1- بابلو نيرودا: آخر الأشعار (في الحث على إبادة نكسون والإشادة بالثورة الشيلية)، ترجمة الطيب الرياحي، الطبعة 3، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1986 .

2- بابلو نيرودا: مذكرات بابلو نيرود (أعترف بأنني عشت)، ترجمة محمود صبح . الطبعة 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1978.

3- بابلو نيرودا: النشيد الشامل، ترجمة صالح علماني، الطبعة 1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سورية، 2002 .

4- محمد عبد الله الجعيدي: أرنستو كاردينال شاعر الثورة الساندينية (دراسة لشعره ومختارات من)، الطبعة 1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1986.

5- ميغيل أنخيل أستورساس: السيد الرئيس، ترجمة ماهر البطوطي، الطبعة 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985.

6- غابرييل غارسيا ماركيز: خريف البطريرك، ترجمة محمد علي اليوسفي، الطبعة 2، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، لبنان، 2013.

ب-المراجع بالعربية :

- الكتب

7- أوخينيو تشانغ رودريغث: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، الطبعة 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1998.

8- بدر عبد الملك: ملامح من أدب أمريكا اللاتينية (الرواية نموذجا)، الطبعة 1، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، 1994.

9- برتولومي دو لاس كازاس: المسيحية والسيف (وثائق إبادة القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان رواية شاهد عيان)، ترجمة سميرة عزمي الزين، (دون طبعة)، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية (كتاب إلكتروني) .

10- حامد أبو أحمد: في الواقعية السحرية، الطبعة 1، سندباد للنشر، القاهرة، مصر، 2002.

11- حامد أبو أحمد: قراءات في أدب إسبانيا وأمريكا اللاتينية، الطبعة 1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980.

12- حسين عيد :غارسيا ماركيز وأفول الدكتاتورية (دراسة في رواية خريف البطريرك)، الطبعة 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1988.

13- طه حسن نجم: أمريكا اللاتينية أرضا وسكانا (دراسة جغرافية إقليمية)، الطبعة 1، جامعة الكويت، الكويت، 1990 .

14- ماجدة حمود: رحلة في جماليات رواية أمريكا اللاتينية، الطبعة 1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007.

15- محمد حمود: أدب أمريكا اللاتينية، الطبعة 1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008.

16- مايكل برير: الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني (أمريكا اللاتينية، جنوب افريقيا، فلسطين)، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، الطبعة 2، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2004 .

17- محمد عبد الله الجعيدي: صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني، الطبعة 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1999.

18- نجلاء سعيد مكاوي: الحرب الباردة في أمريكا اللاتينية، الطبعة 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2013.

19- عبد الله حمادي: بابلو نيرودا شاعر الشيلي الأكبر (مقاربة نقدية) الطبعة 3، دار الألمعية للتوزيع والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2011 .

20- عبد الله حمادي: غابريل غارسيا ماركيز رائد الواقعية السحرية، الطبعة 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

21- صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع، الطبعة 2، دار المعارف، القاهرة مصر، 1980.

- المجلات والجرائد :

22- ابراهيم العريس: (الجنرال في متاهته) . مجلة الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، العدد 47، الدوحة، قطر، سبتمبر 2011.

23- إمام عبد الفتاح إمام: (الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد183، الكويت، 1994.

24- جيمس هيغينز:(الاتجاهات الجديدة في رواية أمريكا اللاتينية)، ترجمة سيد عبد الخالق، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 12، العدد 2، 1993.

25- حامد أبو أحمد: (الدكتاتور في سأم مملكته، قراءة في رواية خريف البطريرك)، مجلة فصول النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 11، العدد 2، 1992.

26- حسام جميل النايف: (الإدارة الإسبانية في أمريكا اللاتينية (1492-1825))، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد 1 و2، 2014 . (نسخة إلكترونية)

27- ناديا ظافر شعبان: (عندما هجا روبين داريو ...روزفلت) جريدة الحياة، لندن، العدد 14636، بتاريخ 20-04-2003.

28- محمود علي مكي: (الشعر الإسباني في إسبانيا وأمريكا اللاتينية)، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، المجلد 4، العدد 2، الكويت، يوليو أغسطس سبتمبر 1973.

29- محمود صبح: (ثقافة أمريكا اللاتينية) . مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، المجلد 19، العدد 1، الكويت، أبريل مايو يونيو1988.

30- مجموعة من القاصين المتحدثين بالإسبانية: (القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين)، ترجمة وتقديم صالح علماني، مجلة إبداعات عالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 349، الكويت، أغسطس 2004 .

31- سيزار فيرنانديث مورينو: أدب أمريكا اللاتينية(قضايا ومشكلات)، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 116، الكويت، 1987.

32- سيزار فيرنانديث مورينو: أدب أمريكا اللاتينية (القسم الثاني)، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 122، الكويت، 1988.

33- عبد المعطي حجازي :(من الشعر إلى الفعل ... وبالعكس) جريدة الأهرام العدد 44357، بتاريخ: 04-04-2008.

ج-المراجع باللغة الفرنسية :

34- Jacque Joset: La littérature Hispano- Américaine, édition 1,presse universitaires de France,Paris , 1972.

35- Pierre Chaunu: Histoire de l'Amerique latine , édition 1, presse universitaires de France,Paris,1949.

د-المواقع الالكترونية:

36- موقع جهة الشعر الالكتروني www.jehat.com

37- موقع اللجنة الأهلية لمدينة صفد www.safad.com

38- موقع مؤسسة محمود درويش www.mahmoddarwich.com

39- موقع منتديات ستار تايمز www.startimes.com

40- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wikipidia.org

41- موقع ويكيبيديا الموسوعة العربية الحرة www.ar.wikipidia.org

42- موقع قصة الإسلام http://www.islamstory.com

فهرس الموضوعات

مقدمة . أ

الفصل الأول: أدب التحرر في أمريكا اللاتينية.

1- أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني إلى الهيمنة الأمريكية . **7**

1-1- حدود أمريكا اللاتينية . **7**

1-2- أمريكا اللاتينية قبل الغزو الأوربي . **8**

1-3- أمريكا الجديدة **10**

أ- مرحلة الغزو والاحتلال . **10**

ب- مرحلة المستعمرات. **13**

ج- مرحلة الكفاح المسلح. **15**

د - مرحلة الاستقلال. **18**

2- أدب الرفض والتحرر في مسايرة نضالات شعوب القارة. **23**

2-1- أصوات محتجة على الغزو الإسباني . **23**

2-2- أدب فترة الاستقلال . **28**

أ- في الشعر . **28**

ب- في الرواية . **39**

الفصل الثاني :الرواية ورفض الدكتاتورية .

1- رواية السيد الرئيس لميغيل أنخيل أستورياس . **47**

1-1- نبذة موجزة عن حياة المؤلف . **47**

1-2- ملخص الرواية . **48**

1-3- موضوعات الرواية: **49**

أ- الواقع الاجتماعي . **49**

أ-1- عامة الشعب بين قسوة الحياة وجشع السلطة . **49**

أ-2- حاشية الرئيس ورجاله بين عبادة الشخصية واستغلال النفوذ. **53**

ب- المشهد الدكتاتوري للسيد الرئيس . **55**

ج – الخيالي والأسطوري في رواية السيد الرئيس. **59**

2- رواية خريف البطريرك لغابرييل غارسيا ماركيز. **61**

2-1- المؤلف في سطور . **61**

2-2- ملخص الرواية . 61
2-3- واقع الدكتاتور . 66
أ- أصل الدكتاتور . 66
ب- حاجته إلى الوصاية . 68
ج- هواجسه. 69
د- شبقه وحياته الشخصية. 70
هـ – مواقفه: 71
هـ -1- موقفه من الدين. 71
هـ -2- موقفه من المثقفين والكتاب . 72
هـ -3- موقفه من الأجانب . 73
و- عزلة الدكتاتور. 73
الفصل الثالث: الشعر في مواجهة الهيمنة الأجنبية
1- مجموعة آخر الأشعار لبابلو نيرودا . 78
1-1- نبذة عن حياة الشاعر . 78
1-2-التعريف بمجموعة آخر الأشعار . 81
1-3- الخصائص الفنية للديوان. 83
1-4- مضامين مجموعة آخر الأشعار: 85
أ- الحرب على ريتشارد نكسون . 85
ب- التشهير بالشركات الاحتكارية الأمريكية . 88
ج- إدانة المعارضة الشيلية المتآمرة مع العدو. 90
2- قصيدة ساعة الصفر لأرنستو كاردينال . 93
2-1- لمحة عن حياة الشاعر . 93
2-2- ملامح شعر أرنستو كاردينال . 94
2-3- قصيدة ساعة الصفر. 95
أ- الوضع السياسي في أمريكا الوسطى. 95
ب- التنديد بالدور التخريبي للشركات الأمريكية . 97
ج- مولد الثورة الساندينية . 98

د- اغتيال الثورة . **100**
هـ- الشاعر شاهد عيان . **102**
- الخاتمة . **107**
- قائمة المصادر والمراجع **112**